مجلة العلوم الشرعية، جامعة القصيم، المجلد (٣)، العدد (٢)، ص ص ٣٨١-٤٢٩ (يوليو ٢٠١٠م / رجب ١٤٣١هـ .)

خصائص الأمة الإسلامية ورسالتها الدعوية

د. محمد بن إبراهيم بن سليمان الرومي
الأستاذ المشارك في كلية المعلّمين بالرياض
جامعة الملك سعود

(قدم للنشر ١٤٣١/٥/٢٦هـ؛ وقبل للنشر ١٤٣١/٧/٣هـ)

ملخص البحث. الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وبعد:

فإن الأمة المسلمة صاحبة رسالة سامية وجليلة، وتميّزت بخصائص عن غيرها من الأمم السابقة مما جعلها أهلاً للقيام بمهمتها ورسالتها الدعوية، ولعلّ من أبرز خصائص الأمة الإسلامية ما يلي:

أولاً: خصائص الأمة الإسلامية في الدنيا كثيرة، ومنها:

١-جعل الأرض لها مسجداً وطهوراً.ئ

٢-التيمم عن فقد الماء أو العجز عن استعمالها.

٣-أنّ الله جعل صفوفهم مثل صفوف الملائكة.

٤-أنّ الله جعل باب التوبة مفتوح إلى يوم الدين، ما لم تصل الوفاة أو الساعة.

٥-أن الله بارك للأمة المسلمة في بكورها.

٦-أن الله أحلّ للأمة المسلمة ميتان ودمان.

٧-أن الله جعل الأمة المسلمة الأ/ة الوسط.

٨-أن الله عفى عن الأمة المسلمة الخطأ والنسيان وما استكرهت عليه.

٩-أن الله لم يجعل أمة محمد ﷺ تجتمع على ضلالة.

١٠-أن الله حفظها من الهلاك والاستئصال الجماعي.

١١-أن الله خصهم بيوم الجمعة.

١٢-أن الله فضلهم بتحية السلام.

١٣-أن الله جعل الأمة المسلم أقل عملاً وأكثر أجراً.

ثانياً: خصائص الأمة المسلمة في الآخرة كثيرة، ومنها:

١-أن الله خصها بالقرة والتحجيل.

٢-أن الله جعل الأمة المسلمة أول من يحاسب من بين الخلائق وأول من يدخل الجنة.

٣- أن الله جعل الأمة المسلمة أول من يعبر الصراط من الأمم.

٤- أن الله جل الأمة المسلمة أكثر أهل الجنة.

٥- أن الله جعل الأمة المسلمة الأمة الشاهدة على الناس.

٦- أن الله جعل من الأمة المسلمة سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب.

ثالثاً: الرسالة الدعوية للأمة الإسلامية، ويمكن إبراز ذلك من خلال:

١- قيام الأمة الإسلامية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢- قيام الأمة بالإسلامية بتبليغ الدعوة.

٣- قيام الأمة الإسلامية بالدعوة إلى الله على علم وبصيرة.

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فإنّ الله عز وجل امتنّ على أمة محمد @ بأن جعلها خاتمة للأمم، وجعل رسولها خاتمًا للرسل & ، وجعلها خير أمة أخرجت للناس، لكونها في عمومها تقوم بواجب الدعوة إلى الله عز وجل وتتآمر فيما بينها بالمعروف، وتتناها فيما بينها عن المنكر، وتحمل ميراث النبوة وتحب الخير للغير وتهديه إليه بطريقة مرضية، ولقد جاء في أحكام رسالة محمد & وجوب القيام بأعباء الدعوة وإيضاح طريق الخير للناس وسوقهم إليه من خلال العلم والبصيرة، وبالحكمة والموعظة الحسنة، وإنّ من خيرات أمة محمد & أنّها تأتي يوم القيامة شاهدة على غيرها، وأنّها أكثر الأمم قبولاً لدعوة الإسلام.

وفي هذا البحث العلمي سأسعى جاهدًا على إبراز خصائص الأمة الإسلامية ورسالتها الدعوية، والتي من خلالها تميّزت على سائر الأمم الأخرى، وذلك من خلال استقراء نصوص القرآن الكريم، ونصوص السنة النبوية الشريفة وأقوال السلف الصالح } .

وفي الختام: أسأل الله سبحانه العلم النافع والعمل الصالح، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

التمهيد: معاني مفردات البحث

أولا: خصائص

الخصائص: جمع خصيصة، والخصيصة الصفة التي تميز الشيء وتحدده[1]. وأصل الكلمة من الفعل "خصص".

يقول ابن منظور: "(خصص): خصّه بالشيء يخُصّه خَصًّا وخُصوصًا وخَصُوصِيّةً وخُصُوصِيّةً، والفتح أَفصح، وخِصِّيصَى، وخصّصَه واخْتصّه: أَفْرَدَه به دون غيره. ويقال: اخْتصّ فلانٌ بالأَمر، وتخصّصَ له: إِذا انفرد، وخَصّ غيرَه واخْتصّه بِبرِّهِ. ويقال: فلان مُخِصٌّ بفلان أَي: خاصّ به، وله به خِصِّيّة" [2].

(١) انظر: المعجم الوسيط، إخراج إبراهيم مصطفى وغيره، ص٢٣٨، مادة (خصص) .

(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور ٢٤/٧، وانظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، اعتنى به عادل مرشد، ص١٤٦، مادة (خصص) .

ويقول الراغب الأصفهاني: "خص: التَّخصيص والاخْتِصاص والخُصُوصيَّة والتَّخَصُّص: تَفَرُّدُ بَعْضِ الشَّيْءِ بما لا يُشارِكُهُ فيه الجُمْلَة، وذلك خلاف العموم والتعمم والتعميم، وخصان الرجل من يختصه بضرب من الكرامة، والخاصة ضد العامة، قال تعالى: (واتقوا فتنة)، أي: بل تعمكم. وقد خصه بكذا، يخصه واختصه يختصه، قال تعالى: (يختص برحمته من يشاء)[٣].

ثانيا: الأمة الإسلامية

أ) الأمة

تعددت عبارات العلماء في تعريف الأمة، إلا أن هذه العبارات متقاربة وكلها تعطي مفهوم الأمة، ولعل أصوب هذه التعريفات تعريف ابن عطية حيث قال:

الأمة: "الجماعة العظيمة من الناس التي قد جمعها معنى أو وصف شامل لها"[٤].

وقيل: "هي الجماعة من الناس تجتمع على مذهب ودين"[٥].

وقال الراغب الأصفهاني ~ : "الأمة كل جماعة يجمعهم أمر ما، إما دين واحد أو زمان واحد أو مكان واحد، سواء كان ذلك الأمر الجامع تسخيرا أو اختيارا، وجمعها أُمَمٌ"[٦].

وقال ابن العربي ~ : "الأمة جماعة واحدة على دين واحد"[٧].

والأمة على قسمين: ١- أمة الدعوة. ٢- أمة الإجابة.

١- فأمة الدعوة: هم "من بعث إليهم النبي ~ من مسلم أو كافر"[٨].

ومما يدل على أن النبي ~ قد بعث إلى هؤلاء سواء مسلم أو كافر:

ما روي عن بن عباس { قال: قال رسول الله ~ : (ما من أحد يسمع بي من هذه الأمة، ولا يهودي، ولا نصراني، ولا يؤمن بي إلا دخل النار)[٩].

٢- وأمة الإجابة: هم "من صدق النبي ~ وأمن بما جاء به وتبعه فيه"[١٠].

---

(٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ضبطه وراجعه محمد خليل عيتاني، ص١٥٥، مادة (خص) .

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب: العزيز، عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، ٨٨/٥.

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، ٦/١٢.

(٦) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ضبطه وراجعه محمد خليل عيتاني، ص٣٣.

(٧) أحكام القرآن، أبو بكر محمد بن عبدالله بن العربي، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، ٣١/٣.

(٨) تهذيب الأسماء واللغات، النووي، ١١/٣.

(٩) أخرجه الحاكم في المستدرك، ٣٧٢/٢، والنسائي في السنن الكبرى، ٣٦٣/٦.

(١٠) تهذيب الأسماء واللغات، النووي، ١١/٣.

قال ابن خزيمة ~ : "قد علمت أن اسم الأمة قد يقع على معنيين أحدهما من قد بعث النبي ~ إليه، وآخر من أجاب النبي ~ إلى ما دعاه إليه"(١١).

وقال الحافظ ابن حجر في شرح حديث: (إن أمتي يدعون يوم القيامة غرا محجلين..): "قوله (أمتي) أي أمة الإجابة، وهم المسلمون، وقد تطلق أمة محمد ويراد بها أمة الدعوة، وليست مرادة هنا"(١٢).

ومن العلماء من ذهب إلى أن الأمة تنقسم ثلاثة أقسام:

قال الكلاباذي ~ : "فإن أمته ~ على ثلاثة أقسام: أحدها أخص من الآخر: أمة الاتباع، ثم أمة الإجابة، ثم أمة الدعوة، فالأولى أهل العمل الصالح، والثانية مطلق المسلمين، والثالثة من عداهم ممن بعث إليهم"(١٣).

وقال يحيى السلماسي ~ : "اسم الأمة يقع على ثلاثة وجوه، ينتظم مرة وينفصل مرة أخرى، أولها أمة الدعوة: وهي التي بعث إليها المبلغ فلزمتها الحجة من مجيب مقر أو عصي مصر. والثانية: أمة الإجابة وهي التي شهدت له بالبلاغ والأمانة فمنعت دمها ومالها واستوثقت، ومنها من صدق صادق ومداج منافق. والثالثة: أمة الاتباع وهي التي أطاعت أمره واقتصت أثره"(١٤).

ب) الإسلامية

نسبة إلى الإسلام

وفي معنى الإسلام في اللغة: قال ابن فارس: "السين واللام والميم معظم بابه من الصحة والعافية، ويكون فيه ما يشذ، والشاذ عنه قليل. فالسلامة: أن يسلم الإنسان من العاهة والأذى، قال أهل العلم: الله جل ثناؤه هو السلام، لسلامته مما يلحق المخلوقين من العيب والنقص والفناء، قال الله جل جلاله: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾(١٥)، فالسلام: الله جل ثناؤه، وداره الجنة. ومن الباب أيضا الإسلام، وهو الانقياد، لأنه يسلم من الإباء والامتناع"(١٦).

وقال الفيروزآبادي: "... وأسلم: انقاد وصار مسلما"(١٧).

---

(١١) كتاب: التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق د. عبدالعزيز بن إبراهيم الشهوان، ٧٤٣/٢.

(١٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، الحافظ ابن حجر، تحقيق: محب الدين الخطيب، ٢٣٦/١.

(١٣) المرجع السابق ٤١١/١١.

(١٤) منازل الأئمة الأربعة، يحي السلماسي، تحقيق: الكندري، ط/١، ص٤١.

(١٥) سورة يونس، الآية: ٢٥.

(١٦) انظر: معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء، اعتنى به د. محمد عوض مرعب، الآنسة فاطمة محمد أصلان، ص٤٦٤.

(١٧) انظر: القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ص١٤٤٨، والمفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، راجعه محمد خليل عيتاني، ص٢٤٦..

وقال العلامة الفيومي: "... وأسلم لله فهو مسلم، وأسلم: دخل في دين الإسلام، وأسلم: دخل في السلم، وأسلم أمره لله وسلم أمره لله بالتثقيل لغة. واستسلم: انقاد"[١٨].

الإسلام في الشرع: قال الإمام محمد بن جرير الطبري ~ : "... أصل الإسلام الاستسلام؛ لأنه مِن استسلمت لأمره، وهو الخضوع لأمره، وإنما سمي المسلم مسلما بخضوع جوارحه لطاعة ربه"[١٩].

وقال شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ~ : " الإسلام هو الاستسلام لله لا لغيره بأن تكون العبادة والطاعة له والذل، وهو حقيقة لا إله إلا الله"[٢٠].

وهناك تعريفات أخرى ذكرها العلماء، إلا أن أجمع هذه التعريفات وأشملها ما ذكره الشيخ محمد بن عبدالوهاب ~ ، وهو أن الإسلام هو: الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله[٢١].

ثالثاً: الرسالة الدعوية

فالرسالة من رسل : قولهم افعل كذا وكذا على رِسْلِكَ بالكسر أي اتئد فيه كما يقال على هينتك، و الرِّسْلُ أيضا اللبن و رَاسَلَهُ مُرَاسَلَةً فهو مُرَاسِلٌ و رَسِيلٌ و أَرْسَلَهُ في رِسَالة فهو مُرْسِلٌ و رَسُولٌ والجمع رُسْلٌ و رُسُلٌ و المُرْسَلاتُ الرياح وقيل الملائكة و الرَّسُولُ أيضا الرسالة) [٢٢].

وجاء في المعجم الوسيط: (رسل: البعير رسلا ورسالة كان رسلا والشعر رسلا كان طويلا مسترسلا، و(أرسل) الشيء أطلقه وأهمله يقال أرسلت الطائر من يدي ويقال أرسل الكلام أطلقه من غير تقييد والرسول بعثه برسالة وعليه سلطه، و(الرسالة) ما يرسل والخطاب وكتاب يشتمل على قليل من المسائل تكون في موضوع واحد وبحث مبتكر يقدمه الطالب الجامعي لنيل شهادة عالية (محدثة) ورسالة الرسول ما أمر بتبليغه عن الله ودعوته الناس إلى ما أوحي إليه ورسالة المصلح ما يتوخاه من وجوه الإصلاح) [٢٣].

وقال المناوي ~ : (الرسالة انبعاث أمر من المرسل إلى المرسل إليه وأصلها المجلة أي الصحيفة المشتملة على قليل من المسائل التي تكون من نوع واحد ، والرسول لغة من يبلغ أخبار من بعثه لمقصود سمي به النبي

---

(١٨) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، اعتنى به عادل مرشد، ص٢٣٦.

(١٩) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري أبو جعفر، ٤٩٣/١.

(٢٠) كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، ٢٣٩/٥.

(٢١) عقيدة الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة، الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ص١٧.

(٢٢) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحقيق : محمود خاطر،ط/١، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت: ١٤١٥هـ . /١٩٩٥م، ص ٢٦٧ .

(٢٣) انظر: المعجم الوسيط، إخراج إبراهيم مصطفى وغيره، ص٣٤٤ ، مادة (رسل) .

المرسل لتتابع الوحي عليه إذ هو فعول بمعنى مفعول وقال الراغب أصل الرسل الانبعاث على تؤدة يقال ناقة رسلة سهلة السير) [٢٤].

وأما الدعوية فهى في أصل اللغة مشتقة من مادة دعا، ففي لسان العرب:

(دعا يدعو دعاء ودعوة، وادَّعى يدَّعى ادعاءً ودعوى.

الدعاء بمعنى: الرغبة إلى الله والدعوة بمعنى الدعاء، ويقال: دعوت الله له بخير وعليه بشر والدعوة المرة الواحدة من الدعاء.

والدعوة: ما دعوت إليه من طعام وشراب.

والدِّعوة: ادعاء النسب وهى ادعاء الإنسان إلى غير أبيه.

والدعوة: الحِلف يقال: دعوة بني فلان في بني فلان)[٢٥].

وفى مختار الصحاح:

(دعا: يدعو دعوة، والدعوة إلى الطعام بالفتح كُنَّا في دعوة فلان وهو مصدر، والمراد بها الدعاء إلى الطعام.

والدعوة بالكسر: في النسب والدعوى أيضاً.

ودعاه: صاح به واستدعاه وأدعوه دعاءً والدعوة المرة الواحدة)[٢٦].

وفى المعجم الوسيط:

(دعا بالشيء دعواً ودعوةً ودعاءً ودعوى: طلب إحضاره ودعا إلى الشيء: حثه على قصده، يقال: دعاه إلى القتال، ودعاه إلى الصلاة، ودعاه إلى الدين وإلى المذهب: حثه على اعتقاده.

والدعوة: يقال هو منى دعوة الرجل: بيني وبينه قدر ما بيني وبين الذي أدعوه، ولبنى فلان الدعوة على غيرهم: يبدأ بهم في الدعاء لأخذ العطاء، والدعوة: ما يدعى إليه من طعام أو شراب) [٢٧].

وجاء في الموسوعة الفقهية من معاني الدعوة في اللغة:

(والدعوة تأتي في اللغة لمعان منها:

---

(٢٤) التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، ط/١، دار الفكر المعاصر، بيروت: ١٤١٠هـ.، ص ٣٦٣.

(٢٥) لسان العرب، محمد بن منظور، ص ١٤ / ٢٥٩.

(٢٦) مختار الصحاح، محمد بن أبى بكر بن عبدالقادر الرازي، ص ١ / ٨٦.

(٢٧) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ص ٢٨٦، ٢٨٧.

١- النداء: تقول دعوت فلاناً أي ناديته، وهذا هو الأصل في معنى "دعا" مطلقاً ولو من الأعلى للأدنى ومنه وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ ﴾[٢٨].

٢- الطلب من الأدنى إلى الأعلى: ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[٢٩].

٣- الدين أو المذهب حقاً كان أم باطلاً وسمى بذلك لأن صاحبه يدعو إليه ومنه قوله تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٤﴾ ﴾[٣٠]، ومنه في الحديث «فإني أدعوك بدعاية الإسلام»[٣١].

٤- ما دعوت إليه من طعام أو شراب وخصها البعض بالدعوة إلى الوليمة وهى طعام العرس.

٥- الحلِف: لأنه يدعى به للانتصار.

٦- النسب: تقول فلان يدعي لفلان أي ينسب إليه ومنه قوله تعالى: ﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ ﴾[٣٢].

٧- الأذان أو الإقامة: وقد جاء في الحديث «الخلافة في قريش، والحكم في الأنصار، والدعوة في الحبشة»[٣٣]. وجعل الأذان في الحبشة تفضيلاً لبلال ورفقاً به، وإنما قيل للأذان ذلك أنه دعوة إلى الصلاة.

والدعوة إذا أطلقت في كلام الفقهاء فالمعنى بها دعوة الحق وهي الدعوة الإسلامية"[٣٤].

---

(٢٨) سورة الإسراء، الآية: ٥٢.

(٢٩) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

(٣٠) سورة الرعد، الآية: ١٤.

(٣١) أخرجه البخاري، كتاب: بدء الوحي، باب: حديث أبي سفيان عند هرقل،حديث رقم ٧، و أخرجه مسلم، كتاب الجهاد، باب: كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، حديث رقم ١٧٧٤.

(٣٢) سورة الأحزاب، الآية: ٥.

(٣٣) أخرجه أحمد في مسنده، ١٨٥/٤، حديث رقم ١٧٦٥٤ وقال محققو المسند: إسناده ضعيف، انظر الموسوعة الحديثية ٢٠١/٢٩، وقد جاء التصريح بلفظ الأذان بدلاً من الدعوة من حديث أبي هريرة > في المسند أيضاً ونصه: "الملك في قريش والقضاء في الأنصار والأذان في الحبشة" أخرجه أحمد في مسنده، ٣٦٤/٢، حديث رقم ٨٧٦١، وقال محققو المسند: رجاله رجال الصحيح. انظر الموسوعة الحديثية ٣٦٨/١٤.

(٣٤) الموسوعة الفقهية، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط/٣، دولة الكويت، الكويت: ١٤٢٥هـ /٢٠٠٤م، ٣٢٠/٢٠-٣٢١.

وأما في الاصطلاح:

فإن الدعوة تطلق ويراد بها معنيان:

١ – الدين.

٢ – النشر والتبليغ.

حيث إن كلمة الدعوة من الألفاظ المشتركة التي تطلق على الإسلام، وعلى عملية نشره بين الناس إلا أن السياق هو الذي يحدد المراد من المعنى فلو قيل: هذا من رجال الدعوة كان معنى الدعوة هنا محاولات النشر والتبليغ، وإن قيل: اتبعوا دعوة الله كان المراد بها الإسلام، وقد أصبحت الدعوة بمعنى النشر والتبليغ علماً مستقلاً له موضوعه وخصائصه وأهدافه، وهو بذلك يواكب سائر العلوم الإسلامية يفيدها ويستفيد منها ويشاركها في إفادة الإسلام برسم طريق منهجي يكفل له الانتشار والذيوع)[٣٥].

والمراد بالدعوة هنا النشر والتبليغ، وقد تعددت التعاريف للدعوة كعلم:

١- فقيل: (هي حث الناس على الخير والهدى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل)[٣٦].

٢- وقيل: (صرف أنظار الناس وعقولهم إلى عقيدة تفيدهم أو مصلحة تنفعهم، وهى أيضاً ندبة لإنقاذ الناس من ضلالة كادوا يقعون فيها، أو من معصية كادت تحدق بهم)[٣٧].

٣- وقيل: (هي مجموعة القواعد والأصول التي يتوصل بها إلى تبليغ الإسلام، للناس وتعليمه إياهم وتطبيقه في واقع الحياة)[٣٨].

٤- وقيل: (هي عملية إحياء لنظام ما لتنتقل الأمة به من محيط إلى محيط)[٣٩].

وعلى هذا فالمراد بالرسالة الدعوية للأمة الإسلامية: قيام الأمة الإسلامية بحث المدعوين والطلب منهم أن يستقيموا على منهج الله، وما شرعه من عبادات ومعاملات وأخلاق يجب أن تسود بينهم، لتكون الأمة قد قامت بوظيفتها ورسالتها المنوطة بها على أكمل وجه في تبليغ الآخرين برسالة الإسلام ودعوته.

---

(٣٥) فن الدعوة الإسلامية وقواعد تطبيقها، د. عبدالغفار عزيز، ط/١، مكتبة الرشد، الرياض: ١٤٢٧هـ ./٢٠٠٦م، ص٢٧.

(٣٦) الدعوة إلى الإصلاح، الشيخ محمد الخضر حسين، تحقيق:علي حسن علي عبدالحميد، ط/١، دار الراية، الرياض: ١٤١٧هـ .، ص١٧.

(٣٧) تاريخ الدعوة الإسلامية بين الأمس واليوم، الشيخ آدم عبدالله الألوري، ط/ منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، بدون ذكر التاريخ ورقم الطبعة، ص١٧.

(٣٨) المدخل إلى علم الدعوة، د. محمد أبو الفتح البيانوني، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤١٢هـ .، ص١٩.

(٣٩) الدعوة الإسلامية في عهدها المكي "مناهجها وغاياتها"، د. رءوف شلبي، ط/٣، دار القلم، الكويت: ١٤٠٢هـ ./١٩٨٢م، ص٣٢.

الفصل الأول: خصائص الأمة الإسلامية

الأمة الإسلامية صاحبة رسالة مهمة وجليلة على هذه الأرض، ومن ثم فإن ما تميزت به من خصائص عن غيرها من الأمم جعلها أهلاً للقيام بمهمتها ورسالتها الدعوية .

وخصائص أمة الإسلام، أمة محمد ~ كثيرة، فإن الله جل وعلا قد ميزها من سائر الأمم كما ميز نبيها بين سائر أنبيائه ورسله، فيحصل التوافق بين النبي المميز والأمة المميزة، وهذا الذي يتطلبه كمال حكمة الله تعالى وفضله ولطفه على من أحب من عباده، "وإنما حازت هذه الأمة قصب السبق إلى الخيرات بنبيها محمد صلوات الله وسلامه عليه؛ فإنه أشرف خلق الله وأكرم الرسل على الله، وبعثه الله بشرع كامل عظيم لم يعطه نبي قبله ولا رسول من الرسل، فالعمل على منهاجه وسبيله يقوم القليل منه ما لا يقوم العمل الكثير من أعمال غيرهم مقامه"(٤٠).

وخصائص الأمة الإسلامية كثيرة، ويمكن إيرادها فيما يأتي:

المبحث الأول:خصائص الأمة الإسلامية في الدنيا

وخصائص الأمة الإسلامية في الدنيا كثيرة ومتعددة منها: أن الله تعالى جعل الأرض كلها مسجدا؛ وفي ذلك دليل على أن شريعة النبي ~ أيسر الشرائع؛ وذلك لأن من قبله من الأنبياء لا تصح صلاتهم إلا في موضع معين مخصوص للصلاة إن بَعُد المكان أو قرب من منازلهم، وفي ذلك مشقة كبيرة. أما لسيدنا محمد ~ فقد جُعِل له ولأمّته المكان الذي أدركتهم فيه الصلاة أي وقتها مسجدًا لهم، وفي ذلك يسر كبير.

فعن جَابِرُ بن عبداللَّهِ { قال: قال رسول اللَّهِ ~ : (أُعْطِيتُ خَمْسًا لم يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ من الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأَيُّمَا رَجُلٍ من أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لي الْغَنَائِمُ، وكان النبي يُبْعَثُ إلى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إلى الناس كَافَّةً وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ)(٤١).

قال الحافظ ابن حجر ~ : "قوله: (وجعلت لي الأرض مسجدا)، أي: موضع سجود لا يختص السجود منها بموضع دون غيره، ويمكن أن يكون مجازا عن المكان المبنى للصلاة، وهو من مجاز التشبيه؛ لأنه لما جازت الصلاة في جميعها كانت كالمسجد في ذلك. قال ابن التين: قيل: المراد جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا وجعلت لغيري مسجدا، ولم تجعل له طهورا؛ لأن عيسى كان يسيح في الأرض ويصلي حيث أدركته الصلاة، كذا قال، وسبقه إلى ذلك الداودي. وقيل: إنما أبيحت لهم في موضع يتيقنون طهارته، بخلاف هذه الأمة فأبيح لها في جميع

---

(٤٠) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٩٢/١.

(٤١) أخرجه أحمد في مسنده، ٩٨/١، ١٥٨، وابن أبي شيبة، ٣٠٤/٦، والبيهقي في السنن الكبرى، ٢١٣/١. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٥٨٨/١: الحديث حسن، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٣٩٣٩) .

الأرض إلا فيما تيقنوا نجاسته. والأظهر ما قاله الخطابي، وهو أن من قبله إنما أبيحت لهم الصلوات في أماكن مخصوصة كالبيع والصوامع، ويؤيده رواية عمرو بن شعيب بلفظ: (وكان من قبلي إنما كانوا يصلون في كنائسهم)[٤٢]، وهذا نص في موضع النزاع فثبتت الخصوصية، ويؤيده ما أخرجه البزار من حديث عبدالله بن عباس نحو حديث الباب، وفيه: (ولم يكن من الأنبياء أحد يصلي حتى يبلغ محرابه)[٤٣]"[٤٤].

وقال بدر الدين محمود بن أحمد العيني ~ : "قوله: (وجعلت لي الأرض مسجدًا) أي: موضع سجود، وهو وضع الجبهة على الأرض. ولم يكن اختص السجود منها بموضع دون موضع، ويحتمل أن يكون المراد من المسجد هو المسجد المعروف الذي يصلي فيه القوم، فإذا كان جوازها في جميعها كان المسجد المعهود كذلك، وقال القاضي عياض: من كان قبله من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، إنما أبيح لهم الصلاة في مواضع مخصوصة: كالبيع والكنائس. وقيل: في موضع يتيقنون طهارته من الأرض، وخصت هذه الأمة بجواز الصلاة في جميع الأرض إلاَّ في المواضع المستثناة بالشرع، أو موضع تيقنت نجاسته. فإن قلتَ: كان عيسى عليه السلام يسيح في الأرض ويصلي حيث أدركته الصلاة، قلت: ذكر مسجدًا وطهورًا، وهذا مختص بالنبي حيث كان يجوز له أن يصلي في أي موضع أدركته الصلاة فيه، وكذلك التيمم منه، ولم يكن لعيسى # ، إلا الصلاة دون التيمم"[٤٥].

ومنها: التيمم عند فقد الماء أو العجز عن استعماله، وهو أيضا من الأدلة على أن شريعة محمد # أيسر الشرائع؛ ولم يكن ذلك في شرائع الأنبياء قبله بل كانوا يتوضأون ويصلون فإن لم يجدوا ما يتوضأون به توقفوا عن الصلاة حتى يجدوا الماء.

والرخصة بالتيمم عند فقد الماء أو تعذر استعماله قد وردت بها الآية الكريمة وهي قوله تعالى:

قال الحافظ ابن كثير # بعد تفسير الآية: "ولهذا كانت هذه الأمة مخصوصة بمشروعية التيمم دون سائر الأمم كما ثبت في الصحيحين عن جابر بن عبدالله { قال: قال رسول الله # : (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، .....)[٤٦].

---

(٤٢) أخرجه أحمد في مسنده، ٢٢٢/٢. قال في الموسوعة الحديثية: ....، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ٦٦٧/١٠: أخرجه أحمد ورجاله ثقات، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب رقم (٣٦٣٤) .

(٤٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، ٤٣٣/٢. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٤٦٣/٨: أخرجه البزار وفيه من لم أعرفهم.

(٤٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، الحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق محب الدين الخطيب، ٤٣٧/١.

(٤٥) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين محمود بن أحمد العيني، ٩/٤.

(٤٦) أخرجه أحمد في مسنده، ٩٨/١، ١٥٨، وابن أبي شيبة، ٣٠٤/٦، والبيهقي في السنن الكبرى، ٢١٣/١. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٥٨٨/١: الحديث حسن، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٣٩٣٩) .

وقال الحسين بن مسعود البغوي # : "اعلم أن التيمم من خصائص هذه الأمة. روى حذيفة > قال: قال رسول الله # : (فضلنا على الناس بثلاث، جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة، وجعلت لنا الأرض كلها مسجدا، وجعلت تربتها لنا طهورا إذا لم نجد الماء)"[٤٧][٤٨].

وقال الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي # : "وفي هذه الآية الكريمة مشروعية هذا الحكم العظيم، الذي امتن به الله على هذه الأمة، وهو مشروعية التيمم، وقد أجمع على ذلك العلماء، ولله الحمد"[٤٩].

واسترسل محمد الطاهر بن عاشور # في كلامه حول التيمم وبيان الحكمة في تشريعه وتخصيصه بهذه الأمة فقال: "والتيمّم من خصائص شريعة الإسلام كما في حديث جابر { أنّ النبي # قال: (أعْطِيتُ خمسا لَمْ يُعْطَهُنَّ أحد قبلي، فذكر منها: وجُعِلت لي الأرض مسجدًا وطَهورًا)[٥٠]، والتيمّم بدل جعله الشرع عن الطهارة، ولم أر لأحد من العلماء بيانا في حكمة جعل التيمّم عوضًا عن الطهارة بالماء وكان ذلك من همّي زمنا طويلاً وقت الطلب ثم انفتح لي حكمة ذلك.

وأحسب أنّ حكمة تشريعه تقرير لزوم الطهارة في نفوس المؤمنين، وتقرير حُرمة الصلاة، وترفيع شأنها في نفوسهم، فلم تُترك لهم حالة يعدّون فيها أنفسهم مُصلّين بدون طهارة تعظيمًا لمناجاة الله تعالى، فلذلك شَرع لهم عملا يشبه الإيماء إلى الطهارة ليستشعروا أنفسهم متطهّرين، وجعل ذلك بمباشرة اليدين صَعيدَ الأرض التي هي منبع الماء، ولأنّ التراب مستعمل في تطهير الآنية ونحوها، ينظّفون به ما علق لهم من الأقذار في ثيابهم وأبدانهم وماعونهم، وما الاستجمار إلاّ ضرب من ذلك، مع ما في ذلك من تجديد طلب الماء لفاقده وتذكيره بأنّه مطالب به عند زوال مانعه، وإذ قد كان التيمّم طهارة رمزية اقتنعت الشريعة فيه بالوجه والكفين في الطهارتين الصغرى والكبرى، كما دلّ عليه حديث عمّار بن ياسِر، ويؤيّد هذا المقصد أنّ المسلمين لما عَدِموا الماء في غزوة المريسيع صلّوْا بدون وضوء فنزلت آية التيمّم. هذا منتهى ما عرض لي من حكمة مشروعيّة التيمّم بعد طول البحث والتأمّل في حكمة مقنعة في النظر، وكنت أعدّ التيمّم هو النوع الوحيد بين الأحكام الشرعية في معنى التعبّدِ بنَوعه، وأمّا التعبّد ببعض الكيفيات والمقادير من أنواع عبادات أخرى فكثير، مثل عدد الركعات في الصلوات"[٥١].

---

(٤٧) أخرجه مسلم، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: المساجد ومواضع الصلاة، ١/٣٧١، رقم (٥٢٢)

(٤٨) تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل، الحسين بن مسعود الفراء البغوي أبو محمد، تحقيق خالد عبدالرحمن العك، ١/٤٣٤.

(٤٩) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ص١٦١، وانظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٥/١٩٩.

(٥٠) أخرجه أحمد في مسنده، ١/٩٨، ١٥٨، وابن أبي شيبة، ٦/٣٠٤، والبيهقي في السنن الكبرى، ١/٢١٣. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/٥٨٨: الحديث حسن، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٣٩٣٩).

(٥١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ٥/٦٨-٦٩.

والرخصة بالتيمم مذكورة في السنة النبوية كما هي مذكورة في القرآن الكريم، بل ورد التصريح بأنه مما اختص به أمة الإسلام، تارة بلفظ: (... وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا...)[٥٢]، كما في حديث جابر بن عبدالله { وقد سبق ذكره، وتارة بلفظ: (...وجعلت لنا الأرض كلها مسجدا، وجعلت تربتها لنا طهورا إذا لم نجد الماء)[٥٣]، كما في حديث حذيفة > وسبق ذكره أيضا. وقد تحدث شراح الأحاديث حول هذه الجزئية مبينين اختصاص أمة محمد عليه الصلاة والسلام بهذه المزية.

قال بدر الدين محمود بن أحمد العيني # : "وهذا مختص بالنبي حيث كان يجوز له أن يصلي في أي موضع أدركته الصلاة فيه، وكذلك التيمم منه، ولم يكن لعيسى عليه السلام، إلا الصلاة دون التيمم"[٥٤].

وقال محمد شمس الحق العظيم آبادي عند شرحه لإحدى هذه الأحاديث: "... وإنما جاء قوله عليه الصلاة والسلام: (جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا)[٥٥]، على مذهب الامتنان على هذه الأمة بأن رخص لهم في الطهور بالأرض والصلاة عليها في بقاعها، وكانت الأمم المتقدمة لا يصلون إلا في كنائسهم وبيعهم"[٥٦].

وقال المناوي # : "والخبر وارد على منهج الامتنان على هذه الأمة بأن رخص لهم في الطهور بالأرض والصلاة في بقاعها وكان من قبلهم إنما يصلون في كنائسهم وفيما يتيقنوا طهارته"[٥٧].

ومن الأحاديث الدالة على اختصاص أمة محمد # بالتيمم:

ما روي عن أبي ذَرٍّ > قال: قال رسول اللَّهِ # : (الصَّعِيدُ الطَّيِّبُ وَضُوءُ الْمُسْلِمِ وَإِنْ لم يَجِدْ الْمَاءَ عَشْرَ سِنِينَ)[٥٨].

ومنها: أن الله جعل صفوفهم مثل صفوف الملائكة، فمن نعم الله على أمة محمد # أنه شرع لهم أمورا تعد من عوامل الاتفاق والمحبة والتعاون ونبذ الافتراق والخلاف بين أفراد الأمة، ومن ذلك أمره إياهم بالقيام في الصفوف بهذه الكيفية عند أداء الصلاة التي هي من أعظم العبادات البدنية. فالقيام في الصفوف بهذا الشكل الذي أمرت به الشريعة من الأسباب الجالبة للمحبة والتوافق بين أفراد الأمة حيث يحصل التلاصق بين أجسام المصلين مما

---

(٥٢) أخرجه أحمد في مسنده، ٩٨/١، ١٥٨، وابن أبي شيبة، ٣٠٤/٦، والبيهقي في السنن الكبرى، ٢١٣/١. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٥٨٨/١: الحديث حسن، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٣٩٣٩) .

(٥٣) أخرجه أحمد في مسنده، ٩٨/١، ١٥٨، وابن أبي شيبة، ٣٠٤/٦، والبيهقي في السنن الكبرى، ٢١٣/١. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٥٨٨/١: الحديث حسن، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٣٩٣٩) .

(٥٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين محمود بن أحمد العني، ٩/٤.

(٥٥) أخرجه أحمد في مسنده، ٩٨/١، ١٥٨، وابن أبي شيبة، ٣٠٤/٦، والبيهقي في السنن الكبرى، ٢١٣/١. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٥٨٨/١: الحديث حسن، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٣٩٣٩) .

(٥٦) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب، ١٠٩/٢، وانظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف المناوي، تعليق ماجد الحموي، ٣٤٩/٣.

(٥٧) فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف المناوي، تعليق ماجد الحموي، ٣٤٩/٣

(٥٨) أخرجه الترمذي، أبواب الطهارة، باب: ما جاء في التيمم للجنب إذا لم يجد الماء، ٢١١/١، رقم (١٢٤) ، والنسائي، كتاب: الطهارة، باب: الصلوات بتيمم واحد، ١٧١/١، رقم (٣٢٢) ، وأحمد في المسند، ١٨٠/٥، وابن حبان في صحيحه، ١٤٠/٤، والدارقطني في سننه١٨٦/١، وصححه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، رقم (٧٣٠٧) .

يؤدي بلا شك إلى ائتلاف القلوب، كما أن مخالفتهم في الصفوف التي هي مخالفة في الظواهر سبب لاختلاف البواطن.

قال النووي # في شرح حديث النعمان بن بشير > وهو قوله عليه الصلاة والسلام: (لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ أو لَيُخَالِفَنَّ الله بين وُجُوهِكُمْ): "والأظهر والله أعلم أن معناه يوقع بينكم العداوة والبغضاء واختلاف القلوب، كما يقال: تغير وجه فلان عليّ، أي: ظهر لي من وجهه كراهة لي، وتغير قلبه عليّ؛ لأن مخالفتهم في الصفوف مخالفة في ظواهرهم، واختلاف الظواهر سبب لاختلاف البواطن"[٥٩].

يدل على اختصاص أمة الإسلام بالصفوف مثل صفوف الملائكة أحاديث منها:

١- عن حُذَيْفَةَ بن اليمان > قال: قال رسول اللَّهِ # : (فُضِّلْنَا على الناس بِثَلاثٍ: جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلائِكَةِ، وَجُعِلَتْ لنا الأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدًا، وَجُعِلَتْ تُرْبَتُهَا لنا طَهُورًا إذا لم نَجِدْ الْمَاءَ)[٦٠].

٢- وعن جَابِرِ بن سَمُرَةَ > قال: خَرَجَ عَلَيْنَا رسول اللَّهِ # فقال: (مالي أَرَاكُمْ رَافِعِي أَيْدِيكُمْ كَأَنَّهَا أَذْنَابُ خَيْلٍ شُمْسٍ، اسْكُنُوا في الصَّلاةِ)، قال: ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا فَرَآنَا حَلَقًا فقال: (مَالِي أَرَاكُمْ عِزِينَ)، قال: ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا فقال: (ألا تَصُفُّونَ كما تَصُفُّ الْمَلائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟) فَقُلْنَا يا رَسُولَ اللَّهِ! وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ قال: (يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الأُوَلَ، وَيَتَرَاصُّونَ في الصَّفِّ)[٦١]. قال المناوي # في شرح الحديث: "والمطلوب من تسويتها محبة الله لعباده"[٦٢].

ولما في تسوية الصفوف والتراص بين أجساد المصلين أثناء الصلاة من الفوائد العظيمة، فقد كان نبي الهدى صلوات الله وسلامه عليه يجتهد كل الاجتهاد على تسوية صفوف صحابته الكرام عند الصلاة، فينظر ويتأكد من تسوية صفوفهم قبل أن يكبر، ولقد دل على ذلك أحاديث كثيرة منها:

١- عن أَنَسِ بن مَالِكٍ قال: قال رسول اللَّهِ # : (سَوُّوا صُفُوفَكُمْ، فإن تَسْوِيَةَ الصَّفِّ من تَمَامِ الصَّلاةِ)[٦٣]، وهذا لفظ مسلم، ولفظ البخاري: (من إقامة الصلاة).

---

(٥٩) شرح صحيح الإمام مسلم، النووي ١٥٧/٤.

(٦٠) أخرجه أحمد في مسنده، ٩٨/١، ١٥٨، وابن أبي شيبة، ٣٠٤/٦، والبيهقي في السنن الكبرى، ٢١٣/١. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٥٨٨/١: الحديث حسن، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٣٩٣٩).

(٦١) أخرجه مسلم، كتاب: الصلاة، باب: الأمر بالسكون في الصلاة والنهي عن الإشارة باليد ورفعها عند السلام، وإتمام الصفوف الأول والتراص فيها والأمر بالاجتماع، ٣٢٢/١، رقم (٤٣٠).

(٦٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف المناوي، تعليق ماجد الحموي، ١١٦/٤.

(٦٣) أخرجه البخاري، كتاب: الجماعة والإمامة، باب: إقامة الصف من تمام الصلاة، ٢٥٤/١، رقم (٦٩٠)، ومسلم، كتاب: الصلاة، باب: تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها والازدحام على الصف الأول والمسابقة إليها وتقديم أولي الفضل وتقريبهم من الإمام، ٣٢٤/١، رقم (٤٣٣).

٢- وعن أَنَسٍ بن مالك أيضا > قال: قال رسول اللَّهِ # : (أَتِمُّوا الصُّفُوفَ؛ فَإِنِّي أَرَاكُمْ خَلْفَ ظَهْرِي)[٦٤].

٣- وعن أبي هُرَيْرَةَ > عن رسول اللَّهِ # فذكر أَحَادِيثَ منها: وقال: (أَقِيمُوا الصَّفَّ في الصَّلاةِ فإن إِقَامَةَ الصَّفِّ من حُسْنِ الصَّلاةِ)[٦٥].

٤- وعن الْبَرَاءِ بن عَازِبٍ > أن رَسُولَ اللَّهِ # قال: (سَوُّوا صُفُوفَكُمْ، لا تَخْتَلِفُ قُلُوبُكُمْ)، قال: وكان يقول: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ على الصَّفِّ الأَوَّلِ أو الصُّفُوفِ الأُوَلِ)[٦٦]. قال المناوي # : "(سووا صفوفكم) عند الشروع في الصلاة، (لا تختلف)، أي: لئلا تختلف (قلوبكم)، أي هواها وإرادتها، والقلب تابع للأعضاء، فإن اختلفت اختلف، وإذا فسد فسدت الأعضاء؛ لأنه رئيسها"[٦٧].

٥- وعن النُّعْمَانَ بن بَشِيرٍ > قال: سمعت رَسُولَ اللَّهِ # يقول: (لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ أو لَيُخَالِفَنَّ الله بين وُجُوهِكُمْ)[٦٨]. قال المناوي رحمه الله تعالى: "قوله: (أو ليخالفن الله)، أي: أو ليوقعن الله المخالفة، (بين وجوهكم)، بأن تفترقوا فيأخذ كل وجها غير الذي أخذ صاحبه؛ لأن تقدم البعض على البعض مظنة للكبر المفسد للقلوب، وسبب لتأثرها الناشئ عنه الحنق والضغائن، فالمراد ليوقعن العداوة والبغضاء بينكم، ومخالفة الظاهر سبب لاختلاف الباطن. وقيل: المراد وجود قلوبكم، بدليل قوله فيما قبله: (تختلف قلوبكم). وقيل: المخالفة في الجزاء، فيجازى مسوي الصفوف بخير والخارج عنه بشر، والوعيد على عدم التسوية للتغليظ لا للتحريم"[٦٩].

٦- وفي رواية أخرى عن النُّعْمَانَ بن بَشِيرٍ أيضا > يقول: كان رسول اللَّهِ # يُسَوِّي صُفُوفَنَا حتى كَأَنَّمَا يُسَوِّي بها الْقِدَاحَ حتى رَأَى أَنَّا قد عَقَلْنَا عنه، ثُمَّ خَرَجَ يَوْمًا فَقَامَ حتى كَادَ يُكَبِّرُ فَرَأَى رَجُلاً بَادِيًا صَدْرُهُ من الصَّفِّ فقال: (عِبَادَ اللَّهِ لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ أو لَيُخَالِفَنَّ الله بين وُجُوهِكُمْ)[٧٠].

---

(٦٤) أخرجه مسلم، كتاب: الصلاة، باب: تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها والازدحام على الصف الأول، ١/٣٢٤، رقم (٤٣٤).

(٦٥) أخرجه مسلم، كتاب: الصلاة، باب: تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها والازدحام على الصف الأول، ١/٣٢٤، رقم (٤٣٥).

(٦٦) أخرجه الدارمي، ١/٣٢٣، رقم (١٢٦٤)، قال المتقي الهندي في كتر العمال ٨/١٤١: أخرجه عبدالرزاق عن البراء وهو صحيح، وصححه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته رقم (٥٩٦١).

(٦٧) فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف المناوي، تعليق ماجد الحموي، ٤/١١٦.

(٦٨) أخرجه مسلم، كتاب: الصلاة، باب: تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها والازدحام على الصف الأول، ١/٣٢٤، رقم (٤٣٦).

(٦٩) فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف المناوي، تعليق ماجد الحموي، ٤/١١٦.

(٧٠) أخرجه مسلم، كتاب: الصلاة، باب: تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها والازدحام على الصف الأول، ١/٣٢٤، رقم (٤٣٦).

ومنها: التوبة، وفي بعض الشرائع التي مضت كان الشخص إذا عمل معصية في الليل يجدها مكتوبة على باب داره في النهار.

ومنها: أن الله جعل زكاة أموالهم في النقود من الأثمان ربع العشر، بينما كان ممن قبلنا من الأنبياء من كان مقدار الزكاة من أموال أمته ربع أموالهم.

ومنها: أن الله جعل صيامهم لِما بين الفجر وغروب الشمس، أما بعض الأمم الذين قبل هذه الأمة كانوا يواصلون الليل والنهار بلا أكل ولا شرب.

ومنها: أن الله فرض على هذه الأمة خمس صلوات في اليوم والليلة، وقد كان في بعض من مضى من الأمم أي أمم الأنبياء من فرض عليهم خمسون صلاة.

ومنها: الإسناد، ومما يمكن الاستدلال به على هذه الخصيصة ما روي عن عبدالله بن عَبَّاسٍ { قال: قال رسول اللَّهِ # : (تَسْمَعُونَ، وَيُسْمَعُ مِنْكُمْ، وَيُسْمَعُ مِمَّنْ سمع مِنْكُمْ)[٧١].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في تعداد مميزات خص الله بها أمة محمد # : "... وخصهم بالرواية والإسناد الذي يميز به بين الصدق والكذب الجهابذة النقاد، وجعل هذا الميراث يحمله من كل خلف عدوله أهل العلم والدين ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين؛ لتدوم بهم النعمة على الأمة، ويظهر بهم النور من الظلمة، ويحيى بهم دين الله الذي بعث به رسوله، وبين الله بهم للناس سبيله"[٧٢].

"فإن الله سبحانه فضل هذه الأمة فشرف الإسناد وخصها باتصاله دون من سلف من العباد، وأقام لذلك في كل عصر من الأئمة الأفراد والجهابذة النقاد من بذل جهده في ضبطه وأحسن الاجتهاد وطلب الوصول إلى غوامض علله فظفر بنيل المراد، وذلك من معجزات نبينا # التي أخبر بوقوعها ودعا لمن قام بهذه الخصيصة وكرع في ينبوعها، فقال # : (يسمعون ويسمع منكم ويسمع ممن يسمع منكم)[٧٣]"[٧٤].

قال أبو حاتم الرازي: "لم يكن في أمة من الأمم منذ خلق الله آدم أمناء يحفظون آثار الرسل إلا في هذه الأمة"[٧٥].

---

(٧١) أخرجه أبو داود، كتاب: العلم، باب: فضل نشر العلم، ٣٢١/٣، رقم (٣٦٥٩) ، وأحمد في مسنده ٣٢١/١، وابن حبان في صحيحه، ٢٦٣/١، والبيهقي في السنن الكبرى، ٢٥٠/١٠، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ، رقم (١٧٨٤) .

(٧٢) كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني، تحقيق عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي، ٣/١.

(٧٣) الحديث السابق.

(٧٤) جامع التحصيل في أحكام المراسيل، أبو سعيد بن خليل بن كيكلدي، تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي، ٢١/١.

(٧٥) تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، علي بن الحسن بن هبة الله، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، ٣٠/٣٨.

ومنها: أنه بورك لها في بكورها، فعن أبي هريرة > قال: قال رسول الله # : (بورك لأمتي في بكورها)(٧٦).

ومنها: أنه أحل لها ميتتان ودمان، فعن عبداللَّهِ بن عُمَرَ { أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ # قال: (أُحِلَّتْ لَكُمْ مَيْتَتَانِ وَدَمَانِ، فَأَمَّا الْمَيْتَتَانِ فَالْحُوتُ وَالْجَرَادُ، وَأَمَّا الدَّمَانِ فَالْكَبِدُ وَالطِّحَالُ)(٧٧)، وعند غير ابن ماجه بلفظ: (أحلت لنا...).

قال المناوي: "(أحلت لنا)، أي: لا لغيرنا من الأمم، (ميتتان) تثنية ميتة، وهي ما أدركه الموت من الحيوان عن زوال القوة وفناء الحرارة، ذكره الحراني، وعرفها الفقهاء بأنها ما زالت حياته بغير ذكاة شرعية، (ودمان) تثنية دم، بتخفيف ميمه وشدها، أي: تناولهما في حالة الاختيار"(٧٨).

ومنها: أنها أمة وسط، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾(٧٩).

يقول الحافظ ابن كثير # في تفسير الآية: "﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾، يقول تعالى: إنما حولناكم إلى قبلة إبراهيم عليه السلام واخترناها لكم لنجعلكم خيار الأمم؛ لتكونوا يوم القيامة شهداء على الأمم؛ لأن الجميع معترفون لكم بالفضل والوسط ههنا الخيار والأجود، كما يقال: قريش أوسط العرب نسبا ودارا، أي: خيرها، وكان رسول الله # وسطا في قومه، أي: أشرفهم نسبا، ومنه الصلاة الوسطى التي هي أفضل الصلوات، وهي العصر كما ثبت في الصحاح وغيرها، ولما جعل الله هذه الأمة وسطا خصها بأكمل الشرائع وأقوم المناهج وأوضح المذاهب كما قال تعالى: { هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من خرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس ﴾"(٨٠).

---

(٧٦) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، ٢٣٠/١، وأبو يعلى في مسنده، ٢٨١/٩، وصححه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته رقم (٥١٥٢).

(٧٧) أخرجه ابن ماجه، كتاب: الأطعمة، باب: الكبد والطحال، ١١٠٢/٢، رقم (٣٣١٤)، وأحمد في مسنده ٩٧/٢، والدارقطني في سننه ٢٧١/٤، والبيهقي في شعب الإيمان ٢٠/٥، والسنن الكبرى ٧/١٠، وقال: الصحيح أنه موقوف على ابن عمر، وقال الحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير: ٢٥/١، أنه في حكم المرفوع، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (١١١٨).

(٧٨) فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف المناوي، تعليق ماجد الحموي، ٢٠٠/١.

(٧٩) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

(٨٠) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٩٠/١.

وقال الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي # : "﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾، أي: عدلا خيارا، وما عدا الوسط فأطراف داخلة تحت الخطر، فجعل الله هذه الأمة وسطا في كل أمور الدين، وسطا في الأنبياء بين من غلا فيهم كالنصارى وبين من جفاهم كاليهود بأن آمنوا بهم كلهم على الوجه اللائق بذلك، ووسطا في الشريعة لا تشديدات اليهود وآصارهم ولا تهاون النصارى، وفي باب الطهارة والمطاعم لا كاليهود الذين لا تصح لهم صلاة إلا في بيعهم وكنائسهم ولا يطهرهم الماء من النجاسات وقد حرمت عليهم طيبات عقوبة لهم، ولا كالنصارى الذين لا ينجسون شيئا ولا يحرمون شيئا بل أباحوا ما دب ودرج، بل طهارتهم أكمل طهارة وأتمها، وأباح الله لهم الطيبات من المطاعم والمشارب والملابس والمناكح، وحرم عليهم الخبائث من ذلك. فلهذه الأمة من الدين أكمله، ومن الأخلاق أجلها، ومن الأعمال أفضلها. ووهبهم الله من العلم والحلم والعدل والإحسان ما لم يهبه لأمة سواهم فلذلك كانوا ﴿أُمَّةً وَسَطًا ﴾: كاملين، ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ بسبب عدالتهم وحكمهم بالقسط يحكمون على الناس من سائر أهل الأديان ولا يحكم عليهم غيرهم، فما شهدت له هذه الأمة بالقبول فهو مقبول، وما شهدت له بالرد فهو مردود، فإن قيل: كيف يقبل حكمهم على غيرهم والحال أن كل مختصمين غير مقبول قول بعضهم على بعض؟ قيل: إنما لم يقبل قول أحد المتخاصمين لوجود التهمة، فأما إذا انتفت التهمة وحصلت العدالة التامة كما في هذه الأمة فإنما المقصود الحكم بالعدل والحق، وشرط ذلك العلم والعدل، وهما موجودان في هذه الأمة فقبل قولها. فإن شك شاك في فضلها وطلب مزكيا لها فهو أكمل الخلق نبيهم # ، فلهذا قال تعالى: { ويكون الرسول عليكم شهيدا} ، ومن شهادة هذه الأمة على غيرهم أنه إذا كان يوم القيامة وسأل الله المرسلين عن تبليغهم والأمم المكذبة عن ذلك وأنكروا أن الأنبياء بلغتهم استشهدت الأنبياء بهذه الأمة وزكاها نبيها.

وفي الآية دليل على أن إجماع هذه الأمة حجة قاطعة، وأنهم معصومون عن الخطأ؛ لإطلاق قوله: ﴿وَسَطًا ﴾، فلو قدر اتفاقهم على الخطأ لم يكونوا وسطا إلا في بعض الأمور، ولقوله: ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾، يقتضي أنهم إذا شهدوا على حكم أن الله أحله أو حرمه أو أوجبه فإنها معصومة في ذلك"[٨١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية # : "وباب التحليل والتحريم الذي منه باب التطهير والتنجيس دين الإسلام فيه وسط بين اليهود والنصارى، كما هو وسط في سائر الشرائع، فلم يشدد علينا في أمر التحريم والنجاسة كما شدد على اليهود الذين حرمت عليهم طيبات أحلت لهم بظلمهم وبغيهم، بل وضعت عنا الآصار والأغلال التي كانت عليهم مثل قرض الثوب ومجانبة الحائض في المؤاكلة والمضاجعة وغير ذلك، ولم تحلل لنا الخبائث كما استحلها النصارى الذين لا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق فلا يجتنبون نجاسة ولا يحرمون خبيثا،

(٨١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ص ٥٦.

بل غاية أحدهم أن يقول طهر قلبك وصل، واليهودي إنما يعتني بطهارة ظاهره لا قلبه كما قال تعالى عنهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡ﴾[٨٢]. وأما المؤمنون فإن الله طهر قلوبهم وأبدانهم من الخبائث، وأما الطيبات فأباحها لهم، والحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى"[٨٣].

ومنها: أن الله عفا عنها الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾[٨٤].

قال الإمام الطبري # في تفسير الآية الكريمة: "وهذا تعليم من الله عز وجل عباده المؤمنين دعاءه كيف يدعونه وما يقولون في دعائهم إياه. ومعناه قولوا: ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا شيئا فرضت علينا عمله فلم نعمله، أو أخطأنا في فعل شيء نهيتنا عن فعله ففعلناه على غير قصد منا إلى معصيتك ولكن على جهالة منا به وخطأ"[٨٥].

وقال الحافظ ابن كثير # : "﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ﴾

، أي: إن تركنا فرضا على جهة النسيان أو فعلنا حراما كذلك أو أخطأنا أي: الصواب في العمل جهلا منا بوجهه الشرعي"[٨٦].

وقال البغوي # : "﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ﴾، أي: لا تعاقبنا ﴿إِن نَّسِينَآ﴾ جعله بعضهم من النسيان الذي هو السهو. قال الكلبي: كانت بنو إسرائيل إذا نسوا شيئا مما أمروا به أو أخطؤوا عجلت لهم العقوبة فحرم عليهم شيء من مطعم أو مشرب على حسب ذلك الذنب، فأمر الله المؤمنين أن يسألوه ترك مؤاخذتهم بذلك. وقيل هو من النسيان الذي هو الترك"[٨٧].

ومن إتمام الله لنعمه على أمة الإسلام أنه تعالى أجاب دعاءهم الذي أرشدهم إليه في الآية السابقة، فعن عبدالله بن عَبَّاسٍ { قال: لَمَّا نَزَلَتْ هذه الآيَةُ ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾، قال: دخل قُلُوبَهُمْ منها شَيْءٌ لم يَدْخُلْ قُلُوبَهُمْ من شَيْءٍ، فقال النبي # : (قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَسَلَّمْنَا)، قال: فَأَلْقَى الله الإِيمَانَ في قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا

---

(٨٢) سورة المائدة، الآية: ٤١.

(٨٣) كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، ٣٣٢/٢١- ٣٣٣.

(٨٤) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٨٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، ١٥٥/٣.

(٨٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٤٣/١.

(٨٧) معالم التنزيل، الحسين بن مسعود الفراء البغوي، تحقيق: خالد عبدالرحمن العك، ٢٧٤/١.

﴿تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾، قال: قد فَعَلْتُ، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾، قال: قد فَعَلْتُ، { وَاغْفِرْ لنا وَارْحَمْنَا أنت مَوْلانَا﴾، قال: قد فَعَلْتُ)[٨٨].

وعن عبدالله بن عباس { عن النبي # قال: (إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه)[٨٩]،

ومنها: أن أمة محمد # لا تجتمع على ضلالة، يدل على ذلك من الأحاديث:

١- عن أَنَسَ بن مَالِكٍ > قال: سمعت رَسُولَ اللَّهِ # يقول: (إِنَّ أُمَّتِي لا تَجْتَمِعُ على ضَلالَةٍ، فإذا رَأَيْتُمْ اخْتِلافًا فَعَلَيْكُمْ بِالسَّوَادِ الأَعْظَمِ)[٩٠].

٢- وعن ابن عُمَرَ { أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ # قال: إِنَّ اللَّهَ لا يَجْمَعُ أُمَّتِي أو قال: أُمَّةَ مُحَمَّدٍ # على ضَلالَةٍ، وَيَدُ اللَّهِ مع الْجَمَاعَةِ، وَمَنْ شَذَّ شَذَّ إلى النَّارِ)[٩١].

٣- وعن جَابِرَ بن عبداللَّهِ قال: سمعت النبي # يقول: (لا تَزَالُ طَائِفَةٌ من أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ على الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)، قال: (فَيَنْزِلُ عِيسَى بن مَرْيَمَ # ، فيقول أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لنا، فيقول: لا، إِنَّ بَعْضَكُمْ على بَعْضٍ أُمَرَاءُ تَكْرِمَةَ اللَّهِ هذه الأُمَّةَ)[٩٢].

٤- وعن ثَوْبَانَ > قال: قال رسول اللَّهِ # : (لا تَزَالُ طَائِفَةٌ من أُمَّتِي ظَاهِرِينَ على الْحَقِّ، لا يَضُرُّهُمْ من خَذَلَهُمْ، حتى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ)[٩٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "ومحمد # خاتم الأنبياء لا نبي بعده؛ فعصم الله أمته أن تجتمع على ضلالة، وجعل فيها من تقوم به الحجة إلى يوم القيامة؛ ولهذا كان إجماعهم حجة كما كان الكتاب والسنة حجة؛ ولهذا امتاز أهل الحق من هذه الأمة والسنة والجماعة عن أهل الباطل الذين يزعمون أنهم يتبعون الكتاب ويعرضون عن سنة رسول الله وعما مضت عليه جماعة المسلمين"[٩٤].

---

(٨٨) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان أنه سبحانه وتعالى لم يكلف إلا ما يطاق، ١١٦/١، رقم (١٢٦).

(٨٩) أخرجه ابن ماجه، كتاب: الطلاق، باب: طلاق المكره والناسي، ٦٥٩/١، رقم (٢٠٤٥)، وابن حبان في صحيحه، ٢٠٢/١٦، والحاكم في المستدرك، ٢١٦/٢، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي في التلخيص، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح رقم (٦٢٨٤).

(٩٠) أخرجه ابن ماجه، كتاب: الفتن، باب: السواد الأعظم، ١٣٠٣/٢، رقم (٣٩٥٠)، وضعفه الألباني في ضعيف ابن ماجه رقم (٨٥٦).

(٩١) أخرجه الترمذي، كتاب: الفتن عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في لزوم الجماعة، ٤٦٦/٤، رقم (٢١٦٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٩٣/٥: أخرجه الطبراني بإسنادين رجال أحدهما ثقات رجال الصحيح خلا مرزوق مولى آل طلحة وهو ثقة.

(٩٢) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: نزول عيسى بن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد ﷺ، ١٣٧/١، رقم (١٥٦).

(٩٣) أخرجه مسلم، كتاب: الإمارة، باب: قوله ﷺ: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم)، ١٥٢٣/٣، رقم (١٩٢٠).

(٩٤) كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي، ٣٦٨/٣.

وقال # في موضع آخر: "ولا نزاع بين المسلمين أن الرسول معصوم فيما بلغه عن الله تعالى، فهو معصوم فيما شرعه للأمه باجماع المسلمين، وكذلك الأمة أيضا معصومة أن تجتمع على ضلالة بخلاف ما سوى ذلك"(٩٥).

ومنها: حفظهم من الهلاك والاستئصال، فلا يمكن أن ينزل بأمة محمد # عذاب يفنيهم تمامًا، ولا يمكن أن يُسلط عليهم عدو يستبيح بيضتهم كلهم إطلاقًا، يؤكد ذلك ما روي من الأخبار عن الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه، فمنها:

١- عن ثَوْبَانَ > قال: قال رسول اللَّهِ # : (إِنَّ اللَّهَ زَوَى لي الأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا ما زوى لي منها، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لأُمَّتِي أَنْ لا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لا يُسَلِّطَ عليهم عَدُوًّا من سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قال: يا محمد! إني إذا قَضَيْتُ قَضَاءً فإنه لا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لأُمَّتِكَ أَنْ لا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لا أُسَلِّطَ عليهم عَدُوًّا من سِوَى أَنْفُسِهِمْ يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ وَلَوْ اجْتَمَعَ عليهم من بِأَقْطَارِهَا أو قال من بين أَقْطَارِهَا حتى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا)(٩٦).

٢- وعن عَامِرُ بن سَعْدٍ عن أبيه { أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ # أَقْبَلَ ذَاتَ يَوْمٍ من الْعَالِيَةِ حتى إذا مَرَّ بِمَسْجِدِ بَنِي مُعَاوِيَةَ دخل فَرَكَعَ فيه رَكْعَتَيْنِ وَصَلَّيْنَا معه وَدَعَا رَبَّهُ طَوِيلاً ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَيْنَا فقال # : (سَأَلْتُ رَبِّي ثَلاثًا فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً، سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرَقِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَمَنَعَنِيهَا)(٩٧).

ومنها: يوم الجمعة، وهو أفضل أيام الأسبوع على الإطلاق، ويوم جعله الله سبحانه وتعالى عيدا لأهل الإسلام، وهو خير يوم طلعت عليه الشمس كما روي في الحديث عن أبي هُرَيْرَةَ > أَنَّ النبي # قال: (خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عليه الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فيه خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ منها، ولا تَقُومُ السَّاعَةُ إلا في يَوْمِ الْجُمُعَةِ)(٩٨).

ومما يدل على تخصيص أمة محمد # بيوم الجمعة:

---

(٩٥) المرجع السابق ٢٨/٣٣.

(٩٦) أخرجه مسلم، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، ٢٢١٥/٤، رقم (٢٨٨٩).

(٩٧) أخرجه مسلم، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، ٢٢١٦/٤، رقم (٢٨٩٠).

(٩٨) أخرجه مسلم، كتاب: الجمعة، باب: فضل يوم الجمعة، ٥٨٥/٢، رقم (٨٥٤).

١- عن أبي هُرَيْرَةَ > قال: قال رسول اللَّهِ # : (نَحْنُ الآخِرُونَ الأَوَّلُونَ يوم الْقِيَامَةِ، وَنَحْنُ أَوَّلُ من يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ من قَبْلِنَا وَأُوتِينَاهُ من بَعْدِهِمْ فَاخْتَلَفُوا، فَهَدَانَا الله لِمَا اخْتَلَفُوا فيه من الْحَقِّ، فَهَذَا يَوْمُهُمْ الذي اخْتَلَفُوا فيه، هَدَانَا الله له، قال يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فَالْيَوْمَ لنا، وَغَدًا لِلْيَهُودِ، وَبَعْدَ غَدٍ لِلنَّصَارَى)[٩٩].

٢- عن أبي هريرة وحذيفة { قالا: قال رسول اللَّهِ # : (أَضَلَّ الله عن الْجُمُعَةِ من كان قَبْلَنَا فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمُ السَّبْتِ وكان لِلنَّصَارَى يَوْمُ الأَحَدِ، فَجَاءَ الله بِنَا فَهَدَانَا الله لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَجَعَلَ الْجُمُعَةَ وَالسَّبْتَ وَالأَحَدَ، وَكَذَلِكَ هُمْ تَبَعٌ لنا يوم الْقِيَامَةِ، نَحْنُ الآخِرُونَ من أَهْلِ الدُّنْيَا وَالأَوَّلُونَ يوم الْقِيَامَةِ، الْمَقْضِيُّ لهم قبل الْخَلائِقِ)، وفي رِوَايَةِ وَاصِلٍ: (الْمَقْضِيُّ بَيْنَهُمْ)[١٠٠].

ومنها: التحية بالسلام، والصلاة في الصفوف، والتأمين خلف إمامهم في الصلاة المكتوبة، ومما يدل على هذه الخصائص:

١- عن عائشة > قالت: دخل اليهود على رسول الله # فقال: السام عليك يا محمد، فقال النبي # : وعليك، فقالت عائشة فهممت أن أتكلم فعلمت كراهية النبي # لذلك فسكت، ثم دخل آخر فقال السام عليك، فقال: عليك، فهممت أن أتكلم فعلمت كراهية النبي # لذلك، ثم دخل الثالث فقال: السام عليك، فلم أصبر حتى قلت: وعليك السام وغضب الله ولعنته إخوان القردة والخنازير، أتحيون رسول الله # بما لم يحيه الله؟ فقال رسول الله # : (إن الله لا يحب الفحش، ولا التفحش، قالوا قولا فرددنا عليهم، إن اليهود قوم حسد، وهم لا يحسدونا على شيء كما يحسدونا على السلام، وعلى آمين)[١٠١].

٢- وعن معاذ بن جبل > أن النبي # جلس في بيت من بيوت أزواجه وعنده عائشة، فدخل عليه نفر من اليهود فقالوا: السام عليك يا محمد، قال: وعليكم، فجلسوا فتحدثوا، وقد فهمت عائشة تحيتهم التي حيوا بها النبي # فاستجمعت غضبا، وتصبرت، فلم تملك غيظها فقالت: بل عليكم السام وغضب الله ولعنته، بهذا تحيون نبي الله # ؟ ثم خرجوا فقال لها النبي # : (ما حملك على ما قلت؟) قالت: أو لم تسمع كيف حيوك يا رسول الله؟ والله ما ملكت نفسي حين سمعت تحيتهم إياك، فقال لها النبي # : (لا جرم، كيف رأيت رددت عليهم، إن اليهود قوم سئموا دينهم، وهم قوم حسد، ولم يحسدوا المسلمين على أفضل من ثلاث: رد السلام، وإقامة الصفوف، وقولهم خلف إمامهم في المكتوبة آمين)[١٠٢].

---

(٩٩) أخرجه مسلم، كتاب: الجمعة، باب: هداية هذه الأمة ليوم الجمعة، ٢/٥٨٥، رقم (٨٥٥).

(١٠٠) أخرجه مسلم، كتاب: الجمعة، باب: هداية هذه الأمة ليوم الجمعة، ٢/٥٨٦، رقم (٨٥٦).

(١٠١) أخرجه ابن خزيمة، ١/٢٨٨، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٦٩١).

(١٠٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، ٥/١٤٦، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢/٢٨٨: أخرجه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب رقم (٢٦٧).

ومنها: القبلة تجاه الكعبة المشرفة، فالتوجه إلى بيت الله الحرام في مكة خصيصة من خصائص أمة محمد # ، يقول الحافظ ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾[١٠٣]، : "أي: أهل الكتاب؛ فإنهم يعلمون من صفة هذه الأمة التوجه إلى الكعبة، فإذا فقدوا ذلك من صفتها ربما احتجوا بها على المسلمين، ولئلا يحتجوا بموافقة المسلمين إياهم في التوجه إلى بيت المقدس، وهذا أظهر"[١٠٤].

ومنها: اللحد في حفر القبور، فعن عبدالله بن عباس { قال: قال # : (اللحد لنا والشق لغيرنا)[١٠٥].

ومنها: أن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها، فعن أبي هُرَيْرَةَ > عن رسول اللَّهِ # قال: (إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ على رَأْسِ كل مِائَةِ سَنَةٍ من يُجَدِّدُ لها دِينَهَا)[١٠٦].

قال محمد شمس الحق العظيم آبادي # : "(إن الله يبعث لهذه الأمة)، أي: أمة الإجابة، ويحتمل أمة الدعوة، قاله القارئ. (على رأس كل مائة سنة)، أي: انتهائه أو ابتدائه إذا قل العلم والسنة وكثر الجهل والبدعة، قاله القارئ. وقال المناوي في مقدمة فتح القدير: واختلف في رأس المائة، هل يعتبر من المولد النبوي أو البعثة أو الهجرة أو الوفاة؟ ولو قيل بأقربية الثاني لم يبعد، لكن صنيع السبكي وغيره مصرح بأن المراد الثالث، انتهى. (من يجدد) مفعول يبعث (لها) أي: لهذه الأمة، (دينها)، أي: يبين السنة من البدعة، ويكثر العلم، وينصر أهله، ويكسر أهل البدعة ويذلهم. قالوا: ولا يكون إلا عالما بالعلوم الدينية الظاهرة والباطنة، قاله المناوي في فتح القدير شرح الجامع الصغير. وقال العلقمي في شرحه معنى التجديد إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة والأمر بمقتضاهما.

والمراد – والله أعلم – أن المقصود من رأس المائة في هذا الحديث آخرها. قال في مجمع البحار: والمراد من انقضت المائة وهو حي عالم مشهور، انتهى. وقال الطيبي: المراد بالبعث من انقضت المائة وهو حي عالم يشار إليه، كذا في مقدمة فتح القدير للمناوي وخلاصة الأثر للمحبي. وقال السيوطي في قصيدته في المجددين: والشرط في ذلك أن يمضي المائة وهو على حياته بين الفئة يشار بالعلم إلى مقامه، وينشر السنة في كلامه. وقال في مرقاة الصعود نقلا عن ابن الأثير: وإنما المراد بالمذكور من انقضت المائة وهو حي معلوم مشهور مشار إليه، انتهى.

---

(١٠٣) سورة البقرة، الآية: ١٥٠.

(١٠٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٩٦/١.

(١٠٥) أخرجه أبو داود، كتاب: الجنائز، باب: في اللحد، ٢٣١/٢، رقم (٣٢٠٨) ، والترمذي، كتاب: الجنائز، باب: ما جاء في قول النبي ﷺ: (اللحد لنا والشق لغيرنا) ، والنسائي، كتاب: الجنائز، باب: اللحد والشق، ٨٠/٤، رقم (٢٠٠٩) ، وابن ماجه، كتاب: الجنائز، باب: ما جاء في استحباب: اللحد، ٤٩٦/١، رقم (١٥٥٤) ، وقال الترمذي: حديث حسن غريب، وصححه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته رقم (٩٦٢١) .

(١٠٦) أخرجه أبو داود، كتاب: الملاحم، باب: ما يذكر في قرن المائة، ١٣٢/٤، رقم (٤٢٩١) ، والحاكم في المستدرك، ٥٦٧/٤، والطبراني في المعجم الأوسط، ٣٢٤/٦، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٥٩٩) .

والدليل الواضح على أن المراد برأس المائة هو آخرها لا أولها أن الزهري وأحمد بن حنبل وغيرهما من الأئمة المتقدمين والمتأخرين اتفقوا على أن من المجددين على رأس المائة الأولى عمر بن عبدالعزيز # ، وعلى رأس المائة الثانية الإمام الشافعي # ، وقد توفي عمر بن عبدالعزيز سنة إحدى ومائة، وله أربعون سنة، ومدة خلافته سنتان ونصف، وتوفي الشافعي سنة أربع ومائتين، وله أربع وخمسون سنة. قال الحافظ ابن حجر في توالي التأسيس: قال أبو بكر البزار: سمعت عبدالملك بن عبدالحميد الميموني يقول: كنت عند أحمد بن حنبل فجرى ذكر الشافعي فرأيت أحمد يرفعه، وقال: روي عن النبي # يقول: (إن الله تعالى يقيض في رأس كل مائة سنة من يعلم الناس دينهم)، قال: فكان عمر بن عبدالعزيز في رأس المائة الأولى، وأرجو أن يكون الشافعي على رأس المائة الأخرى"[١٠٧].

ومنها: صلاة العشاء.

فعن مُعَاذٍ بن جبل > قال: رَقَبْنَا رَسُولَ اللَّهِ # فِي صَلاَةِ الْعِشَاءِ، فَاحْتَبَسَ حتى ظَنَنَّا أن لَنْ يَخْرُجَ، وَالْقَائِلُ مِنَّا يقول: قد صلى وَلَنْ يَخْرُجَ، فَخَرَجَ رسول اللَّهِ # فَقُلْنَا: يا رَسُولَ اللَّهِ، ظَنَنَّا أنك لَنْ تَخْرُجَ، وَالْقَائِلُ مِنَّا يقول: قد صلى وَلَنْ يَخْرُجَ، فقال رسول اللَّهِ # : (اعتموا بِهَذِهِ الصَّلاَةِ، فَقَدْ فُضِّلْتُمْ بها على سَائِرِ الأُمَمِ، ولم يُصَلِّهَا أُمَّةٌ قَبْلَكُمْ)[١٠٨].

ومنها: أن عيسى بن مريم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم يصلي خلف ولي من أولياء الله في هذه الأمة. فقد ثبت في حديث صحيح بأن عيسى عليه الصلاة والسلام وهو نبي بل من أولي العزم من الرسل وقد أكرمه الله بأنواع من المعجزات، ومع ذلك سينزل في آخر الزمان ويصلي وراء نبي من أولياء الله في أمة محمد # كرامة لهذا النبي العظيم صلوات الله وسلامه عليه وكرامة لأمته المرحومة.

فعن جَابِرَ بن عبداللَّهِ > قال: سمعت النبي # يقول: (لا تَزَالُ طَائِفَةٌ من أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ على الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ). قال: (فَيَنْزِلُ عِيسَى بن مَرْيَمَ # ، فيقول أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لنا، فيقول: لا، إِنَّ بَعْضَكُمْ على بَعْضٍ أُمَرَاءُ، تَكْرِمَةَ اللَّهِ هذه الأُمَّةَ)[١٠٩].

ومنها: كثرة أنواع الشهادة، أي أن من يعتبر وفاته أو موته شهادة يكثر أنواعه في الأمة الإسلامية، وهذا مما اختص الله تعالى به هذه الأمة، بينما كان الشهيد في الأمم السابقة شهيد المعركة فقط، وهذا من نعم الله على أمة محمد # .

---

(١٠٧) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي، ٢٥٩/١١-٢٦٠.

(١٠٨) أخرجه أحمد في المسند، ٢٣٧/٥، والطبراني في المعجم الكبير، ١٢٠/٢٠، وابن أبي شيبة في المصنف، ٢٩١/١، والبيهقي في السنن الكبرى، ٤٥١/١، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح، رقم (٦١٢) .

(١٠٩) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: نزول عيسى بن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد ﷺ، ١٣٧/١، رقم (١٥٦) .

فعن أبي هُرَيْرَةَ > قال: قال رسول اللَّهِ # : (ما تَعُدُّونَ الشَّهِيدَ فِيكُمْ؟) قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ، من قُتِلَ في سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، قال: (إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إِذًا لَقَلِيلٌ)، قالوا: فَمَنْ هُمْ يا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: (من قُتِلَ في سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ في سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ في الطَّاعُونِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ في الْبَطْنِ فَهُوَ شَهِيدٌ)[١١٠].

ومما يؤكد بأن إطلاق اسم الشهيد لم يقتصر على المقتول في ساحة المعركة في سبيل الله فحسب بل تجاوز ذلك إلى غيره ممن ورد ذكرهم في الأحاديث ما روي عن أبي هُرَيْرَةَ > أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ # قال: (بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ على الطَّرِيقِ فَأَخَّرَهُ فَشَكَرَ الله له فَغَفَرَ له). وقال: (الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ: الْمَطْعُونُ، وَالْمَبْطُونُ، وَالْغَرِقُ، وَصَاحِبُ الْهَدْمِ، وَالشَّهِيدُ في سَبِيلِ اللَّهِ عز وجل)[١١١].

ومنها: أنها أمة أقل عملا وأكثر أجرا، يدل على ذلك:

ما روي عن بن عُمَرَ { عن النبي # قال: (مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ أُجَرَاءَ فقال: من يَعْمَلُ لي من غُدْوَةَ إلى نِصْفِ النَّهَارِ على قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتْ الْيَهُودُ، ثُمَّ قال: من يَعْمَلُ لي من نِصْفِ النَّهَارِ إلى صَلاةِ الْعَصْرِ على قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتْ النَّصَارَى، ثُمَّ قال: من يَعْمَلُ لي من الْعَصْرِ إلى أَنْ تَغِيبَ الشَّمْسُ على قِيرَاطَيْنِ؟ فَأَنْتُمْ هُمْ، فَغَضِبَتْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى فَقَالُوا: ما لنا أَكْثَرَ عَمَلاً وَأَقَلَّ عَطَاءً؟ قال: هل نَقَصْتُكُمْ من حَقِّكُمْ؟ قالوا: لا، قال: فَذَلِكَ فَضْلِي أُوتِيهِ من أَشَاءُ)[١١٢].

قال المناوي # : { قوله: (وقالوا: ما لنا أكثر عملا وأقل عطاء)، يعني قال أهل الكتاب: ربنا أعطيت لأمة محمد ثوابا كثيرا مع قلة أعمالهم، وأعطيتنا قليلا مع كثرة أعمالنا، (قال) أي الله تعالى، (هل ظلمتكم؟) أي نقصتكم من حقكم؟ وفي رواية بدل حقكم أجركم، أي الذي اشترطته لكم (شيئا)، وفي رواية (من شيء)، وأطلق لفظ الحق لقصد المماثلة وإلا فالكل من فضله تعالى، (قالوا: لا) لم تنقصنا من أجرنا أو لم تظلمنا، (قال فذلك) أي كل ما أعطيته من الثواب (فضلي أوتيه من أشاء). قال الطيبي: هذه المقاولة تخييل وتصوير لا حقيقة، ويمكن حملها على وقوعها عند إخراج الذر، ذكره القاضي. قال الفخر الرازي: كل نبي معجزاته أظهر فثواب أمته أقل إلا هذه الأمة، فإن معجزات نبيها أظهر وثوابها أكثر"[١١٣].

ومنها: أنها مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره.

---

(١١٠) أخرجه مسلم، كتاب: الإمارة، باب: بيان الشهداء، ١٥٢١/٣، رقم (١٩١٥) .

(١١١) أخرجه مسلم، كتاب: الإمارة، باب: بيان الشهداء، ١٥٢١/٣، رقم (١٩١٤)

(١١٢) أخرجه البخاري، كتاب: الإجارة، باب: الإجارة إلى نصف النهار، ٧٩١/٢، رقم (٢١٤٨) .

(١١٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف المناوي، ٥٦٦/٢- ٥٦٧.

فعن أَنَسٍ بن مالك > قال: قال رسول اللَّهِ # : (مَثَلُ أُمَّتِي مَثَلُ الْمَطَرِ لا يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ)(١١٤).

قال المناوي # : (مثل أمتي مثل المطر لا يدرى) أي: بالرأي والاستنباط (أوله خير أم آخره). قال البيضاوي: نفى تعلق العلم بتفاوت طبقات الأمة في الخيرية، وأراد به نفي التفاوت لاختصاص كل منهم بخاصية وجب خيريتها، كما أن كل نوبة من نوب المطر لها فائدة في النماء لا يمكن إنكارها والحكم بعدم نفعها، فإن الأولين آمنوا بما شاهدوا من المعجزات وتلقوا دعوة الرسول بالإجابة والإيمان، والآخرين آمنوا بالغيب لما تواتر عندهم من الآيات واتبعوا الذين قبلهم بالإحسان، وكما اجتهد الأولون في التأسيس والتمهيد اجتهد المتأخرون في التجريد والتلخيص، وصرفوا عمرهم في التقدير والتأكيد، فكل مغفور، وسعيه مشكور، وأجره موفور، ...، وقد تمسك ابن عبدالبر بهذا الحديث فيما رجحه من أن الأفضلية المذكورة في حديث (خير الناس قرني) إنما هي بالنسبة إلى المجموع لا الأفراد، وأجاب عنه النووي بأن المراد ممن يشتبه عليه الحال في زمن عيسى، ويرون ما في زمنه من البركة وانتظام شمل الإسلام، فيشتبه الحال على من شاهد ذلك أي الزمانين خير، وهذا الاشتباه مندفع بخبر خير الناس قرني"(١١٥).

وقال ابن قتيبة # : "وأما قوله: (خير أمتي القرن الذي بعثت فيه) فلسنا نشك في أن صحابته خير ممن يكون في آخر الزمان، وأنه لا يكون لأحد من الناس مثل الفضل الذي أوتوه، وإنما قال: (مثل أمتي مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره) على التقريب لهم من صحابته، كما يقال: ما أدري أوجه هذا الثوب أحسن أم مؤخره، ووجهه أفضل، إلا أنك أردت تقريب منه، وكما تقول: ما أدري أوجه هذه المرأة أحسن أم قفاها، ووجهها أحسن، إلا أنك أردت تقريب ما بينهما في الحسن، ومثل هذا قوله في تهامة: إنها كبديع العسل لا يدرى أوله خير أم آخره، والبديع الزق، وإذا كان العسل في زق ولم يختلف اختلاف اللبن في الوطب، فيكون أوله خيرا من آخره، ولكنه يتقارب، فلا يكون لأوله كبير فضل على آخره"(١١٦).

المبحث الثاني: خصائص الأمة الإسلامية في الآخرة

وأما خصائص الأمة الإسلامية في الآخرة فكثيرة أيضاً منها: الغرة والتحجيل، أي أنهم بإطالة الغرة أي زيادة شيء مما حول الوجه في غسل الوجه في وضوئهم وزيادة شيء مما فوق المرفقين والكعبين في غسل أيديهم وأرجلهم تنور لهم هذه المواضع يوم القيامة؛ فيعرف رسول الله # من كان من أمته بهذه العلامة. والغرة

---

(١١٤) أخرجه الترمذي، كتاب: الأمثال عن رسول الله ﷺ، باب، ١٥٢/٥، رقم (٢٨٦٩)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ، رقم (٢٢٨٦) .

(١١٥) فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف المناوي، ٥١٧/٥.

(١١٦) تأويل مختلف الحديث، عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ١١٥/١.

والتحجيل مما اختص به أمة محمد # ، بل هما من الأمور التي يميز النبي # بها أفراد أمته من أفراد سائر الأمم يوم القيامة.

فيدل على تخصيص أمة الإسلام بهذه الخصيصة أحاديث منها:

١- عن نعيم المجمر قال: رقيت مع أبي هريرة على ظهر المسجد فتوضأ فقال: إني سمعت النبي # يقول: (إن أمتي يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل)[١١٧].

٢- وعن أبي هُرَيْرَةَ > أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ # قال: (إِنَّ حَوْضِي أَبْعَدُ من آيلة من عَدَنٍ، لَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا من الثَّلْجِ، وَأَحْلَى من الْعَسَلِ بِاللَّبَنِ، وَلآنِيَتُهُ أَكْثَرُ من عَدَدِ النُّجُومِ، وَإِنِّي لأَصُدُّ الناس عنه كما يَصُدُّ الرَّجُلُ إِبِلَ الناس عن حَوْضِهِ)، قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ أَتَعْرِفُنَا يَوْمَئِذٍ؟ قال: (نعم، لَكُمْ سِيمَا لَيْسَتْ لأَحَدٍ من الأُمَمِ، تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ من أَثَرِ الْوُضُوءِ)[١١٨].

٣- وعن حُذَيْفَةَ بن اليمان > قال: قال رسول اللَّهِ #: (إِنَّ حَوْضِي لأَبْعَدُ من أَيْلَةَ من عَدَنٍ، وَالَّذِي نَفْسِي بيده، إني لأَذُودُ عنه الرِّجَالَ كما يَذُودُ الرَّجُلُ الإِبِلَ الْغَرِيبَةَ عن حَوْضِهِ)، قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ! وَتَعْرِفُنَا؟ قال: (نعم، تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ من آثَارِ الْوُضُوءِ، لَيْسَتْ لأَحَدٍ غَيْرِكُمْ)[١١٩].

٤- وعن أبي هُرَيْرَةَ أيضا > أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ # أتى الْمَقْبُرَةَ فقال: (السَّلامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إن شَاءَ الله بِكُمْ لاحِقُونَ، وَدِدْتُ أَنَّا قد رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا)، قالوا: أولسنا إِخْوَانَكَ يا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: (أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لم يَأْتُوا بَعْدُ)، فَقَالُوا: كَيْفَ تَعْرِفُ من لم يَأْتِ بَعْدُ من أُمَّتِكَ يا رَسُولَ اللَّهِ؟ فقال: (أَرَأَيْتَ لو أَنَّ رَجُلاً له خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بين ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ أَلا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟)، قالوا: بَلَى يا رَسُولَ اللَّهِ، قال: (فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ من الْوُضُوءِ، وأنا فَرَطُهُمْ على الْحَوْضِ، أَلا لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عن حَوْضِي كما يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ، أُنَادِيهِمْ: أَلا هَلُمَّ، فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ قد بَدَّلُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا)[١٢٠].

ومعنى هذه الأحاديث أن النور يسطع من وجوه أمة محمد # وأيديهم وأرجلهم يوم القيامة، وهذا من خصائص هذه الأمة التي جعلها الله عز وجل شهداء على الناس[١٢١].

---

(١١٧) أخرجه البخاري، كتاب: الوضوء، باب: فضل الوضوء والغر المحجلين من آثار الوضوء، ٦٣/١، رقم (١٣٦) ، ومسلم، كتاب: الطهارة، باب: استحباب: إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، ٢١٦/١، رقم (٢٤٦) .

(١١٨) أخرجه مسلم، كتاب: الطهارة، باب: استحباب: إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، ٢١٧/١، رقم (٢٤٧).

(١١٩) أخرجه مسلم، كتاب: الطهارة، باب: استحباب: إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، ٢١٧/١، رقم (٢٤٨).

(١٢٠) أخرجه مسلم، كتاب: الطهارة، باب: استحباب: الغرة والتحجيل، ٢١٨/١، رقم (٢٤٩) .

(١٢١) انظر: صحيح البخاري تحقيق د. مصطفى ديب البغا، ٦٣/١.

قال ابن عبدالبر # بعد ذكره لجمع من الأحاديث التي ذكر فيها الغرة والتحجيل: "وقد ذكرنا أسانيد هذه الأحاديث في التمهيد، وكلها تدل على صحة ما ذكرنا من أن هذه الأمة مخصوصة بالغرة والتحجيل من سائر الأمم، والله أعلم)[١٢٢].

وقال المباركفوري # في شرحه لإحدى الأحاديث التي ذكر فيها الغرة والتحجيل: "وهذا نص صريح في أن الغرة والتحجيل من خصوصيات هذه الأمة"[١٢٣].

وقال ابن عبدالبر رحمه الله تعالى في موضع آخر: وأما قوله (فإنهم يأتون يوم القيامة غرا محجلين من الوضوء)، ففيه دليل على أن الأمم أتباع الأنبياء لا يتوضؤون مثل وضوئنا على الوجه واليدين والرجلين؛ لأن الغرة في الوجه والتحجيل في اليدين والرجلين هذا ما لا مدفع فيه على هذا الحديث إلا أن يتأول متأول أن وضوء سائر الأمم لا يكسبها غرة ولا تحجيلا، وأن هذه الأمة بورك لها في وضوئها بما أعطيت من ذلك شرفا لها ولنبينا عليه السلام كسائر فضائلها على سائر الأمم، كما فضل نبيها بالمقام المحمود وغيره على سائر الأنبياء، والله أعلم. وقد يجوز أن يكون الأنبياء يتوضؤون فيكتسبون بذلك الغرة والتحجيل ولا يتوضأ أتباعهم ذلك الوضوء، كما خص نبينا عليه السلام بأشياء دون أمته منها: نكاح ما فوق الأربع، والموهوبة بغير صداق، والوصال وغير ذلك، فيكون من فضائل هذه الأمة أن تشبه الأنبياء كما جاء عن موسى عليه السلام أنه قال: (يا رب! أجد أمة كلهم كالأنبياء، فاجعلهم أمتي، فقال: تلك أمة أحمد)، في حديث فيه طول"[١٢٤].

ومنها: أنها أول من يحاسب، والمقضي عليهم قبل الخلائق، وأول من يدخل الجنة، يدل على ذلك:

١- عن عبدالله بن عباس { أَنَّ النبي # قال: (نَحْنُ آخِرُ الأُمَمِ، **وَأَوَّلُ من يُحَاسَبُ**، يُقَالُ: أَيْنَ الأُمَّةُ الأُمِّيَّةُ وَنَبِيُّهَا؟ فَنَحْنُ الآخِرُونَ الأَوَّلُونَ)[١٢٥].

٢- وفي حديث طويل عن أَبِي نَضْرَةَ قال: خَطَبَنَا بن عَبَّاسٍ على مِنْبَرِ الْبَصْرَةِ فقال: قال رسول اللَّهِ # : وفيه: (... فإذا أَرَادَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أن يَصْدَعَ بين خَلْقِهِ نَادَى مُنَادٍ أَيْنَ أَحْمَدُ وَأُمَّتُهُ؟ فَنَحْنُ الآخِرُونَ الأَوَّلُونَ،

---

(١٢٢) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، يوسف بن عبدالله بن عبدالبر النمري، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، ١٩٤/١.

(١٢٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، محمد عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري، ١٨٦/٣.

(١٢٤) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، يوسف بن عبدالله بن عبدالبر النمري، تحقيق سالم محمد عطا، محمد علي معوض، ١٩٢/١-١٩٣، وانظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، يوسف بن عبدالله بن عبدالبر النمري، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبدالكبير البكري، ٢٥٨/٢٠.

(١٢٥) أخرجه ابن ماجه، كتاب: الزهد، باب: صفة أمة محمد ﷺ، ١٤٣٤/٢، رقم (٤٢٩٠)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٢٣٧٤).

نَحْنُ آخِرُ الأُمَمِ، وَأَوَّلُ من يُحَاسَبُ، فَتُفْرِجُ لنا الأُمَمُ عن طَرِيقِنَا، فنمضي غُرًّا مُحَجَّلِينَ من أَثَرِ الطُّهُورِ، فَتَقُولُ الأُمَمُ: كَادَتْ هذه الأُمَّةُ أَنْ تَكُونَ أَنْبِيَاءَ كُلُّهَا...)[١٢٦].

٣- وعن أبي هُرَيْرَةَ > قال: قال رسول اللَّهِ # : (نَحْنُ الآخِرُونَ الأَوَّلُونَ يوم الْقِيَامَةِ، وَنَحْنُ أَوَّلُ من يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ من قَبْلِنَا وَأُوتِينَاهُ من بَعْدِهِمْ فَاخْتَلَفُوا، فَهَدَانَا الله لِمَا اخْتَلَفُوا فيه من الْحَقِّ، فَهَذَا يَوْمُهُمْ الذي اخْتَلَفُوا فيه، هَدَانَا الله له، قال يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فَالْيَوْمَ لنا، وَغَدًا لِلْيَهُودِ، وَبَعْدَ غَدٍ لِلنَّصَارَى)[١٢٧].

٣- وعن أبي هريرة وحذيفة { قالا: قال رسول اللَّهِ # : (أَضَلَّ الله عن الْجُمُعَةِ من كان قَبْلَنَا فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمُ السَّبْتِ وكان لِلنَّصَارَى يَوْمُ الأَحَدِ، فَجَاءَ الله بِنَا فَهَدَانَا الله لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَجَعَلَ الْجُمُعَةَ وَالسَّبْتَ وَالأَحَدَ، وَكَذَلِكَ هُمْ تَبَعٌ لنا يوم الْقِيَامَةِ، نَحْنُ الآخِرُونَ من أَهْلِ الدُّنْيَا وَالأَوَّلُونَ يوم الْقِيَامَةِ، الْمَقْضِيُّ لهم قبل الْخَلائِقِ)، وفي رِوَايَةِ وَاصِلٍ: (الْمَقْضِيُّ بَيْنَهُمْ)[١٢٨].

ومنها: أنها أول من يعبر الصراط من الأمم.

فعن أبي هُرَيْرَةَ > أَنَّ الناس قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ! هل نَرَى رَبَّنَا يوم الْقِيَامَةِ؟ فقال رسول اللَّهِ # : (هل تُضَارُّونَ في الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟) قالوا: لا يا رَسُولَ اللَّهِ، قال: (فَهَلْ تُضَارُّونَ في الشَّمْسِ لَيس دُونَهَا سَحَابٌ؟)، قالوا: لا يا رَسُولَ اللَّهِ، قال: (فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ، يَجْمَعُ الله الناس يوم الْقِيَامَةِ فيقول: من كان يَعْبُدُ شيئا فَلْيَتْبَعْهُ؛ فَيَتْبَعُ من كان يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَيَتْبَعُ من كان يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ، وَيَتْبَعُ من كان يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هذه الأُمَّةُ فيها شَافِعُوهَا أو مُنَافِقُوهَا، شَكَّ إِبْرَاهِيمُ فَيَأْتِيهِمْ الله فيقول: أنا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: هذا مَكَانُنَا حتى يَأْتِينَا رَبُّنَا، فإذا جَاءَنَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ فَيَأْتِيهِمْ الله في صُورَتِهِ التي يَعْرِفُونَ فيقول: أنا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أنت رَبُّنَا، فَيَتْبَعُونَهُ، وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بين ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ فَأَكُونُ أنا وَأُمَّتِي أَوَّلَ من يُجِيزُهَا ....)[١٢٩].

ومنها: أن أمة محمد أكثر أهل الجنة، فثلثا أهل الجنة من أمته، ويدل على ذلك من الأحاديث:

١- عن سُلَيْمَانَ بن بُرَيْدَةَ عن أبيه عن النبي # قال: (أَهْلُ الْجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِائَةُ صَفٍّ، ثَمَانُونَ من هذه الأُمَّةِ، وَأَرْبَعُونَ من سَائِرِ الأُمَمِ)[١٣٠].

---

(١٢٦) أخرجه أحمد في مسنده، ٢٨١/١، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٢٣٧٤) .

(١٢٧) أخرجه مسلم، كتاب: الجمعة، باب: هداية هذه الأمة ليوم الجمعة، ٥٨٥/٢، رقم (٨٥٥) .

(١٢٨) أخرجه مسلم، كتاب: الجمعة، باب: هداية هذه الأمة ليوم الجمعة، ٥٨٦/٢، رقم (٨٥٦) .

(١٢٩) أخرجه البخاري، كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾، ٢٧٠٤/٦، رقم (٧٠٠٠) ، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية، ١٦٣/١، رقم (١٨٢) .

(١٣٠) أخرجه الترمذي، كتاب: صفة الجنة عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في صفة أهل الجنة، ٦٨٣/٤، رقم (٢٥٤٦) ، وابن ماجه، كتاب: الزهد، باب: صفة أمة محمد ﷺ، ١٤٣٤/٢، رقم (٤٢٨٩) ، وابن حبان في صحيحه، ٤٩٩/١٦، وصححه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، رقم (٤٢٩١) .

٢- وعن عبداللَّهِ قال كنا مع النبي في قُبَّةٍ فقال أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ قُلْنَا نعم قال أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ قُلْنَا نعم قال أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ قُلْنَا نعم قال وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيده إني لأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَذَلِكَ أَنَّ الْجَنَّةَ لا يَدْخُلُهَا إلا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ وما أَنْتُمْ في أَهْلِ الشِّرْكِ إلا كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ في جِلْدِ الثَّوْرِ الأَسْوَدِ أو كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ في جِلْدِ الثَّوْرِ الأَحْمَرِ)[١٣١]. وفي رواية أخرى عن عبداللَّهِ قال: قال لنا رسول اللَّهِ # : (أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ)، قال: فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قال: (أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ)، قال: فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قال: (إني لأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَسَأُخْبِرُكُمْ عن ذلك، ما الْمُسْلِمُونَ في الْكُفَّارِ إلا كَشَعْرَةٍ بَيْضَاءَ في ثَوْرٍ أَسْوَدَ أو كَشَعْرَةٍ سَوْدَاءَ في ثَوْرٍ أَبْيَضَ)[١٣٢].

فقد استنبط النووي تلك الفائدة العظيمة في إخبار النبي # صحابته الكرام بكون أمته ربع أهل الجنة، ثم الثلث، ثم النصف قائلا: "قوله: { قال لنا رسول الله # : (أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟) قال: فكبرنا، ثم قال: (أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟)، فكبرنا، ثم قال: (إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة)، أما تكبيرهم فلسرورهم بهذه البشارة العظيمة، وأما قوله # : ربع أهل الجنة، ثم ثلث أهل الجنة، ثم الشطر، ولم يقل أولا شطر أهل الجنة فلفائدة حسنة، وفيه أن ذلك أوقع في نفوسهم وأبلغ في إكرامهم، فإن إعطاء الإنسان مرة بعد أخرى دليل على الاعتناء به ودوام ملاحظته، وفيه فائدة أخرى هي تكريره البشارة مرة بعد أخرى، وفيه أيضا حملهم على تجديد شكر الله تعالى وتكبيره وحمده على كثرة نعمه، والله أعلم. ثم إنه وقع في هذا الحديث شطر أهل الجنة، وفي الرواية الأخرى نصف أهل الجنة، وقد ثبت في الحديث الآخر أن أهل الجنة عشرون ومائة صف هذه الأمة منها ثمانون صفا، فهذا دليل على أنهم يكونون ثلثي أهل الجنة، فيكون النبي # أخبر أولا بحديث الشطر، ثم تفضل الله سبحانه بالزيادة فأعلم بحديث الصفوف فأخبر النبي # بعد ذلك، ولهذا نظائر كثيرة في الحديث معروفة كحديث الجماعة تفضل صلاة المنفرد بسبع وعشرين درجة، وبخمس وعشرين درجة، على إحدى التأويلات فيه"[١٣٣].

فليس هناك أدنى تعارض بين الحديث الذي ورد فيه بأن شطر أمته # من أهل الجنة والذي ورد فيه أن ثلثيهم من أهل الجنة، يقول المباركفوري رحمه الله تعالى: "قال الشيخ عبدالحق # في اللمعات: لا ينافي هذا

---

(١٣١) أخرجه البخاري، باب: كيف الحشر، ٢٣٩٢/٥، رقم (٦١٦٣) ، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: كون هذه الأمة نصف أهل الجنة، ٢٠٠/١، رقم (٢٢١) .

(١٣٢) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: كون هذه الأمة نصف أهل الجنة، ٢٠٠/١، رقم (٢٢١) .

(١٣٣) شرح صحيح الإمام مسلم، النووي ٩٥/٣-٩٦.

قوله # أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة لأنه يحتمل أن يكون رجاؤه # ذلك ثم زيد وبشر من عند الله بالزيادة بعد ذلك"[١٣٤].

ويقول المناوي # : "(أهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الأمة وأربعون من سائر الأمم)، لا يعارضه خبر ابن مسعود: (أنتم شطر أهل الجنة)، وفي رواية: (نصفهم)؛ لأن المصطفى رجا أولا أن يكونوا نصفا فأعطاه الله رجاءه ثم زاده"[١٣٥].

٣- وعن أبي هُرَيْرَةَ أَنَّ النبي # قال أَوَّلُ من يُدْعَى يوم الْقِيَامَةِ آدَمُ فَتَرَاءَى ذُرِّيَّتُهُ فَيُقَالُ هذا أَبُوكُمْ آدَمُ فيقول لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ فيقول أَخْرِجْ بَعْثَ جَهَنَّمَ من ذُرِّيَّتِكَ فيقول يا رَبِّ كَمْ أُخْرِجُ فيقول أَخْرِجْ من كل مِائَةٍ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ فَقَالُوا يا رَسُولَ اللَّهِ إذا أُخِذَ مِنَّا من كل مِائَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ فَمَاذَا يَبْقَى مِنَّا قال إِنَّ أُمَّتِي في الأُمَمِ كَالشَّعَرَةِ الْبَيْضَاءِ في الثَّوْرِ الأَسْوَدِ)[١٣٦].

ومنها: أنها شهداء على الناس، أي شهداء على الأنبياء وأممهم، قال تعالى: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** ﴾[١٣٧].

ويؤكد كون أمة محمد # ونبيها شهداء على سائر الأنبياء وأممهم:

١- عن أبي سعيد الْخُدْرِيِّ > قال: قال رسول اللَّهِ # : (يُدْعَى نُوحٌ يوم الْقِيَامَةِ فيقول: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يا رَبِّ، فيقول: هل بَلَّغْتَ؟ فيقول: نعم، فَيُقَالُ لأُمَّتِهِ: هل بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: ما أَتَانَا من نَذِيرٍ، فيقول: من يَشْهَدُ لك؟ فيقول: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فيشهدون أَنَّهُ قد بَلَّغَ، ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾فَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾، وَالْوَسَطُ الْعَدْلُ)[١٣٨].

٢- وعن أبي سَعِيدٍ الخدري > أيضا > قال: قال رسول اللَّهِ # : (يَجِيءُ النبي وَمَعَهُ الرَّجُلانِ، وَيَجِيءُ النبي وَمَعَهُ الثَّلاثَةُ وَأَكْثَرُ من ذلك وَأَقَلُّ، فَيُقَالُ له: هل بَلَّغْتَ قَوْمَكَ؟ فيقول: نعم، فَيُدْعَى قَوْمُهُ فَيُقَالُ: هل بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: لا، فَيُقَالُ: من شهد لك؟ فيقول: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَتُدْعَى أُمَّةُ مُحَمَّدٍ فَيُقَالُ: هل بَلَّغَ هذا؟ فَيَقُولُونَ: نعم، فيقول: وما عِلْمُكُمْ بِذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: أخبرنا نَبِيُّنَا بِذَلِكَ أَنَّ الرُّسُلَ قد بَلَّغُوا فَصَدَّقْنَاهُ، قال:

---

(١٣٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، محمد عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري، ٢١٦/٧.

(١٣٥) فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف المناوي، تعليق ماجد الحموي، ٦٥/٣.

(١٣٦) أخرجه البخاري، كتاب: الرقاق، باب: كيف الحشر، ٢٣٩٢/٥، رقم (٦١٦٤) .

(١٣٧) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

(١٣٨) أخرجه البخاري، كتاب: التفسير، باب: {وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عل يكم ش هيدا}، ١٦٣٢/٤، رقم (٤٢١٧) .

فَذَلِكُمْ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ على الناس وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾)[١٣٩].

ومنها: أن سبعين ألفا منها يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب.

فعن عبدالله بن عَبَّاسٍ { قال: قال النبي # : (عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فأجد النبي يَمُرُّ معه الأُمَّةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ معه النَّفَرُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ معه الْعَشَرَةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ معه الْخَمْسَةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ وَحْدَهُ، فَنَظَرْتُ فإذا سَوَادٌ كَثِيرٌ، قلت: يا جِبْرِيلُ، هَؤُلاءِ أُمَّتِي؟ قال: لا، وَلَكِنْ انْظُرْ إلى الأُفُقِ، فَنَظَرْتُ فإذا سَوَادٌ كَثِيرٌ، قال: هَؤُلاءِ أُمَّتُكَ، وَهَؤُلاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا قُدَّامَهُمْ لا حِسَابَ عليهم ولا عَذَابَ، قلت: وَلِمَ؟ قال: كَانُوا لا يَكْتَوُونَ، ولا يَسْتَرْقُونَ، ولا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ). فَقَامَ إليه عُكَّاشَةُ بن مِحْصَنٍ فقال: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي منهم، قال: (اللهم اجْعَلْهُ منهم). ثُمَّ قام إليه رَجُلٌ آخَرُ قال: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي منهم، قال: (سَبَقَكَ بها عُكَّاشَةُ)[١٤٠].

وعن أبي أُمَامَةَ > قال: سمعت رَسُولَ اللَّهِ # يقول: (وَعَدَنِي رَبِّي أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ من أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا لا حِسَابَ عليهم ولا عَذَابَ، مع كل أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا وَثَلاثُ حَثَيَاتٍ من حَثَيَاتِهِ)[١٤١].

وما من شك أن تميز الأمة الإسلامية بهذه الخصائص الكثيرة في الدنيا والآخرة إنما كان لأن لها رسالة ومهمة ينبغي أن تقوم بها، ورسالة ومهمة الدعوة هي أعظم ما كلفت به الأمة الإسلامية.

الفصل الثاني: الرسالة الدعوية للأمة الإسلامية

نظراً لما تميزت به الأمة الإسلامية من خصائص فإن الله عز وجل حمّلها القيام برسالة الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأمرها بالوفاء بهذه المهمة والرسالة، وما استحقت الأمة الإسلامية هذه الخصائص في الدنيا والآخرة إلا لقيامها برسالتها الدعوية، ويمكن إبراز الرسالة الدعوية للأمة الإسلامية فيما يأتي:

---

(١٣٩) أخرجه ابن ماجه، كتاب: الزهد، باب: صفة أمة محمد ﷺ، ١٤٣٢/٢، رقم (٤٢٨٤)، وأحمد في مسنده ٥٤/٣، وصححه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته رقم (١٣٩٩٣).

(١٤٠) أخرجه البخاري، كتاب: الرقاق، باب: يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب، ٢٣٩٦/٥، رقم (٦١٧٥)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، ١٩٩/١، رقم (٢٢٠).

(١٤١) أخرجه الترمذي، كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب: منه، ٦٢٦/٤، رقم (٢٤٣٧)، وقال: حسن غريب، وصححه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، رقم (١٣٠٦٧).

المبحث الأول: قيام الأمة الإسلامية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

بين الله سبحانه أن الأمة الإسلامية خير الأمم وأفضلها وأكرمها على الله تعالى، شريطة تحقيق رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[١٤٢]،

قال الحافظ ابن كثير # : "يخبر تعالى عن هذه الأمة المحمدية بأنهم خير الأمم فقال تعالى: : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قال البخاري: حدثنا محمد بن يوسف عن سفيان عن ميسرة عن أبي حازم عن أبي هريرة > : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ﴾، قال: خير الناس للناس، تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام. وهكذا قال عبدالله بن عباس، ومجاهد، وعطية العوفي، وعكرمة، وعطاء، والربيع بن أنس. ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ﴾ يعني: خير الناس للناس، والمعنى أنهم خير الأمم، وأنفع الناس للناس، ولهذا قال: : ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾"[١٤٣].

وقد تعددت أقوال المفسرين في المخاطبين في الآية الكريمة، فأورد ابن كثير بعضها ثم قال: "والصحيح أن هذه الآية عامة في جميع الأمة، كل قرن بحسبه، وخير قرونهم الذين بعث فيهم رسول الله # ، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، أي: خيارا، ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ الآية"[١٤٤].

وقال ابن عطية الأندلسي # في تفسير الآية بعد إيراده لأقوال بعض المفسرين: "قال القاضي: فهذا كله قول واحد، مقتضاه أن الآية نزلت في الصحابة، قيل لهم: : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾، فالإشارة بقوله: ﴿أُمَّةٍ﴾ إلى أمة محمد معينة؛ فإن هؤلاء هم خيرها. وقال الحسن بن أبي الحسن وجماعة من أهل العلم: معنى الآية خطاب الأمة بأنهم خير أمة أخرجت للناس، فلفظ ﴿أُمَّةٍ﴾ على هذا التأويل اسم جنس، كأنه قيل لهم: كنتم خير الأمم، ويؤيد هذا التأويل كونهم شهداء على الناس، وقول النبي # : (نحن الآخرون السابقون)[١٤٥] الحديث"[١٤٦].

وقال الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي # : "يمدح تعالى هذه الأمة ويخبر أنها خير الأمم التي أخرجها الله للناس، وذلك بتكميلها لأنفسهم بالإيمان المستلزم للقيام بكل ما أمر الله به، وبتكميلهم لغيرهم بالأمر بالمعروف

---

(١٤٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(١٤٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٩٢/١.

(١٤٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٩٢/١.

(١٤٥) أخرجه البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: يقاتل من وراء الإمام ويتقى به، ١٠٨٠/٣، رقم (٢٧٩٧) .

(١٤٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب: العزيز، عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق عبدالسلام عبدالشافي محمد ٤٨١/١.

والنهي عن المنكر المتضمن دعوة الخلق إلى الله، وجهادهم على ذلك، وبذل المستطاع في ردهم عن ضلالهم وغيهم وعصيانهم، فبهذا كانوا خير أمة أخرجت للناس. لما كانت الآية السابقة وهي قوله: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ أمرا منه تعالى لهذه الأمة، والأمر قد يمتثله المأمور ويقوم به، وقد لا يقوم به، أخبر في هذه الآية أن الأمة قد قامت بما أمرها الله بالقيام به، وامتثلت أمر ربها واستحق الفضل على سائر الأمم"[١٤٧].

وقد أكد النبي # على هذه الخيرية، وبين أن الأمة الإسلامية تستحقها ومن الأحاديث الواردة في كون أمة محمد # خير الأمم وأكرمها على الله:

١- فعن بَهْزِ بن حَكِيمٍ عن أبيه عن جَدِّهِ أَنَّهُ سمع النبي # يقول في قَوْلِهِ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، قال: (إِنَّكُمْ تَتِمُّونَ سَبْعِينَ أُمَّةً، أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا على اللَّهِ)[١٤٨].

٢- عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول اللَّهِ # : (أُعْطِيتُ ما لم يُعْطَ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ)، فَقُلْنَا: يا رَسُولَ اللَّهِ! ما هو؟ قال: (نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الأَرْضِ، وَسُمِّيتُ أَحْمَدَ، وَجُعِلَ التُّرَابُ لي طهورا، وَجُعِلَتْ أمتي خَيْرَ الأُمَمِ)[١٤٩].

٣- وعن بَهْزِ بن حَكِيمٍ عن أبيه عن جَدِّهِ قال: قال رسول اللَّهِ # : (نُكْمِلُ يوم الْقِيَامَةِ سَبْعِينَ أُمَّةً نَحْنُ آخِرُهَا وَخَيْرُهَا)[١٥٠].

٤- وعن أبي هريرة > قال: كنتم خير أمة أخرجت للناس، قال: نحن خير الناس للناس، نجيء بهم الأغلال في أعناقهم فندخلهم في الإسلام[١٥١].

ولقد تميزت الأمة الإسلامية بهذه الرسالة على غيرها من الأمم السابقة حيث كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه فاستحقوا اللعن والطرد من رحمة الله تعالى كما قال الله سبحانه: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ

---

(١٤٧) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ص١٢٦.

(١٤٨) أخرجه الترمذي، كتاب: تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب: ومن سورة آل عمران، ٢٢٦/٥، والحاكم في المستدرك، ٩٤/٤. قال الترمذي: حديث حسن، وقال الحاكم: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح رقم (٦٢٨٥).

(١٤٩) أخرجه أحمد في مسنده، ٩٨/١، ١٥٨، وابن أبي شيبة، ٣٠٤/٦، والبيهقي في السنن الكبرى، ٢١٣/١. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٥٨٨/١: الحديث حسن، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٣٩٣٩).

(١٥٠) أخرجه ابن ماجه، كتاب: الزهد، باب: صفة أمة محمد ﷺ، ١٤٣٣/٢، رقم (٤٢٨٧)، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه رقم (٣٤٦٠).

(١٥١) أخرجه النسائي، كتاب: التفسير، باب: قوله تعالى: كنتم خير أمة أخرجت للناس، ٣١٣/٦، رقم (١١٠٧١)، وذكره القرطبي في تفسيره، ١٧٠/٤.

عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ (١٥٢).

قال ابن كثير # : (يخبر تعالى أنه لعن الكافرين من بني إسرائيل من دهر طويل، فيما أنزل على داود نبيه # ، وعلى لسان عيسى ابن مريم # ، بسبب عصيان الكافرين من بني إسرائيل لله واعتدائهم على خلقه. قال العَوْفِيّ، عن ابن عباس { : لعنوا في التوراة و في الإنجيل وفي الزبور، وفي الفرقان.

ثم بين حالهم فيما كانوا يعتمدونه في زمانهم، فقال: ﴿ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ أي: كان لا ينهي أحد منهم أحدًا عن ارتكاب المآثم والمحارم، ثم ذمهم على ذلك ليحذر أن يُرْكَبَ مثل الذي ارتكبوا، فقال: ﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ (١٥٣).

وقال صاحب المنار: (اللعن : أشد ما يعبر الله تعالى به عن مقته وغضبه ؛ فالملعون هو المحروم من لطفه وعنايته، البعيد عن هبوط رأفته ورحمته ، وقد كان داود # لعن الذين اعتدوا منهم في السبت ، أو العاصين المعتدين عامة ، والمعتدين في السبت خاصة ، ثم لعنهم عيسى # وهو آخر الأنبياء المرسلين منهم ، وإنما كان سبب ذلك اللعن من الله الذي استمر هذا الاستمرار عصيانهم له عز وجل ، واعتداءهم الممتد المستمر ، كما يدل عليه قوله تعالى : ﴿ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴾ .

وقد بين – جل ذكره – ذلك العصيان وسبب استمرارهم على تعدي حدود الله وإصرارهم عليه بقوله : (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) أي كانوا لا ينهى بعضهم بعضا عن منكر ما من المنكرات ، مهما اشتد قبحها وعظم ضررها ، وإنما النهي عن المنكر حفاظ الدين وسياج الآداب والفضائل ، فإذا ترك تجرأ الفساق على إظهار فسقهم وفجورهم ، ومتى صار الدهماء يرون المنكرات بأعينهم ، ويسمعونها بآذانهم ، تزول وحشتها وقبحها من أنفسهم ، ثم يتجرأ الكثيرون أو الأكثرون على اقترافها . فالإخبار بهذا الشأن من شئونهم إخبار بفشو المنكرات فيهم ، وانتشار مفاسدها بينهم ؛ لأن وجود العلة يقتضي وجود المعلول ، ولولا استمرار وقوع المنكرات لما صح أن يكون ترك التناهي شأنا من شئون القوم ، ودأباً من دءوبهم) (١٥٤).

وقد أشار النبي # إلى وقوع ذلك منهم فعَنْ أَبِى عُبَيْدَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ # : ((إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ فَيَقُولُ يَا هَذَا اتَّقِ اللَّهَ وَدَعْ مَا تَصْنَعُ فَإِنَّهُ لاَ يَحِلُّ لَكَ ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْغَدِ فَلاَ يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَقَعِيدَهُ فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ

(١٥٢) سورة المائدة، الآيتان: ٧٨، ٧٩ .

(١٥٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ١٦٢/٣ .

(١٥٤) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ط/ ١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة: ١٩٩٠م، ٦/ ٤٠٦ .

بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ ». ثُمَّ قَالَ ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ فَٰسِقُونَ ﴾ ثُمَّ قَالَ « كَلاَّ وَاللَّهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدَىِ الظَّالِمِ وَلَتَأْطُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا وَلَتَقْصُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْرًا)) (١٥٥).

المبحث الثاني: قيام الأمة الإسلامية بتبليغ الدعوة

والأمة الإسلامية بما تميزت به من خصائص عليها القيام بمهمة ورسالة تبليغ الدعوة كما قال الله تعالى: ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ (١٥٦).

قال ابن كثير # : (قول تعالى: ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ ﴾ أي: منتصبة للقيام بأمر الله، في الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ قال الضحاك: هم خاصّة الصحابة وخاصة الرُّواة، يعني: المجاهدين والعلماء. وقال أبو جعفر الباقر: قرأ رسول الله # : ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ ﴾ ثم قال: "الْخَيْرُ اتِّبَاعِ القُرآنِ وَسُنَّتِي".

والمقصود من هذه الآية أن تكون فرْقَة من الأمَّة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجبا على كل فرد من الأمة بحسبه)) (١٥٧).

وقال الشيخ السعدي # : (أي: وليكن منكم أيها المؤمنون الذين مَنَّ الله عليهم بالإيمان والاعتصام بحبله ﴿ أُمَّةٞ ﴾ أي: جماعة ﴿ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ ﴾ وهو اسم جامع لكل ما يقرب إلى الله ويبعد من سخطه ﴿ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ﴾ وهو ما عرف بالعقل والشرع حسنه ﴿ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ ﴾ وهو ما عرف بالشرع والعقل قبحه، وهذا إرشاد من الله للمؤمنين أن يكون منهم جماعة متصدية للدعوة إلى سبيله وإرشاد الخلق إلى دينه، ويدخل في ذلك العلماء المعلمون للدين، والوعاظ الذين يدعون أهل الأديان إلى الدخول في دين الإسلام، ويدعون المنحرفين إلى الاستقامة، والمجاهدون في سبيل الله، والمتصدون لتفقد أحوال الناس وإلزامهم بالشرع كالصلوات الخمس والزكاة والصوم والحج وغير ذلك من شرائع الإسلام، وكتفقد المكاييل والموازين وتفقد أهل الأسواق ومنعهم من الغش والمعاملات الباطلة، وكل هذه الأمور من فروض الكفايات كما تدل عليه الآية الكريمة في قوله ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ ﴾ إلخ أي: لتكن منكم جماعة يحصل المقصود بهم في هذه الأشياء المذكورة، ومن المعلوم المتقرر أن الأمر

---

(١٥٥) أخرجه أبوداود، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، رقم ٤٣٣٨ ، وقال الألباني: ضعيف (المشكاة ٥١٧٨) .

(١٥٦) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤، ١٠٥ .

(١٥٧) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ٢/ ٩١ .

بالشيء أمر به وبما لا يتم إلا به فكل ما تتوقف هذه الأشياء عليه فهو مأمور به، كالاستعداد للجهاد بأنواع العدد التي يحصل بها نكاية الأعداء وعز الإسلام، وتعلم العلم الذي يحصل به الدعوة إلى الخير وسائلها ومقاصدها، وبناء المدارس للإرشاد والعلم، ومساعدة النواب ومعاونتهم على تنفيذ الشرع في الناس بالقول والفعل والمال، وغير ذلك مما تتوقف هذه الأمور عليه، وهذه الطائفة المستعدة للدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هم خواص المؤمنين، ولهذا قال تعالى عنهم: ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ الفائزون بالمطلوب، الناجون من المرهوب))[١٥٨].

وقال د. عبد الكريم زيدان: (إن المكلف بالدعوة إلى الله هو كل مسلم ومسلمة لأن الأمة الإسلامية تتكون منهم، فكل بالغ عاقل من الأمة الإسلامية – وهي المكلفة بالدعوة إلى الله – مكلف بهذا الواجب، ذكراً كان أو أنثى، فلا يختص العلماء، أو كما يسميهم البعض رجال الدين، بأصل هذا الواجب، لأنه واجب على الجميع، وإنما يختصون بتبليغ تفاصيله وأحكامه ومعانيه نظراً لسعة علمهم به ومعرفتهم بجزئياته. ويزيد الأمر وضوحاً – وهو أن المكلف بالدعوة إلى الله تعالى هو كل مسلم ومسلمة – قول ربنا جل جلاله: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[١٥٩]. فأتباع الرسول # المؤمنون به، يدعون إلى الله على بصيرة أي علم ويقين، كما كان رسولهم # يدعو إلى الله على بصيرة ويقين. ومعنى ذلك أن من اللوازم الضرورية لإيمان المسلم أن يدعو إلى الله، فإذا تخلف عن الدعوة دل تخلفه على وجود نقص أو خلل في إيمانه، يجب تداركه بالقيام بهذا الواجب، واجب الدعوة إلى الله. .... وفي الحديث الشريف الذي ورد عن ابن عباس أن النبي # قال: ((فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ))[١٦٠]. ويدخل في معنى الشاهد كل مسلم علم من أمر الإسلام شيئاً. والدعوة إلى الله، وهي واجب على كل مسلم ومسلمة، كما قلنا، قد تؤدى بصورة فردية، وقد تؤدى بصورة جماعية، وإذا أردنا الدقة بالتعبير قلنا: إن هذا الواجب يؤدى على نحوين الأول: نحو فردي بأن يقوم به المسلم بصفته فرداً مسلماً، والثاني: يؤدى هذا الواجب أو جانباً منه بصفته فرداً في جماعة تدعو إلى الله تعالى)[١٦١].

وبين الشيخ علي محفوظ # أهمية تبليغ الدعوة فقال: (ولقد أوجب الله على المسلمين أن تقوم منهم طائفة بوظيفة الدعوة إلى الخير حفظاً للشريعة من أن يتجاوز حدودها المعتدون، وصوناً لأحكامها من أن يتعالى

---

(١٥٨) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ص ١٤٢ .

(١٥٩) سورة يوسف،الآية: ١٠٨ .

(١٦٠) أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى، رقم ١٦٢٣، و أخرجه مسلم، كتاب القسامة والمحاربين والديات، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض، رقم ١٦٧٩ .

(١٦١) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ط/٩، مؤسسة الرسالة بيروت: ١٤٢٠هـ /١٩٩٩م، ص ٣١ .

عليها ذووا الشهوات. فالمخاطب بهذا كافة المسلمين، فهم المكلفون أن يختاروا منهم طائفة تقوم بهذه الفريضة فهنا فريضتان إحداهما على جميع المسلمين، والثانية على الجماعة التي يختارونها للدعوة)[١٦٢].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (والدعوة إلى الله مكلف بها كل مسلم ومسلمة على سبيل الوجوب الكفائي أو العيني فليست خاصة بالعلماء الذين بلغوا في العلم المراتب العالية، وإنما ينبغي أن يكون الداعي عالماً بما يدعو إليه، فالمسلم يدعو إلى أصل الإسلام، وإلى أصل الأمور الظاهرة منه كالإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، واليوم الآخر، وكفعل الصلاة، وأداء الزكاة والصوم، والحج ونحو ذلك، وإلى نحو ترك المعاصي الظاهرة من الزنا، وشرب الخمر، والعقوق، والفحش في القول، ولكن ليس له أن يدعو إلى شيء يجهله، لئلا يكون عليه إثم من يضلهم بغير علم، ويختص أهل العلم بالدعوة إلى تفاصيل ذلك، وكشف الشبه، وجدال أصحابها، ورد غلو الغالين، وانتحال المبطلين ونحو ذلك، ولغير العلماء أيضاً الدعوة إلى مسائل جزئية إذا علموها وأصبحوا بها على بصيرة، ولا يشترط لذلك التبحر في العلم الديني بجميع أقسامه، فكل من الطرفين يدعو إلى ما هو عالم به) [١٦٣].

وقال الإمام أبو حامد الغزالي # : (واجب أن يكون في كل مسجد ومحلة من البلد فقيه يعلم الناس دينهم، وكذا في كل قرية وكل عامي عرف شروط الصلاة فعليه أن يعرف غيره، وإلا فهو شريك في الإثم... ومعلوم أن الإنسان لا يولد عالماً بالشرع، وإنما يجب التبليغ على أهل العلم. فكل من تعلم مسألة واحدة فهو من أهل العلم بها. والإثم-أي في ترك التبليغ-على الفقهاء أشد لأن قدرتهم فيه أظهر، وهو بصناعتهم أليق)[١٦٤].

ولا شك أن هناك خلافاً بين العلماء حول نوع وجوب التبليغ هل هو فرض عين أم فرض كفاية ومداره على نوع "مِن" في قوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[١٦٥].

فمن جعل "مِن" تبعيضية، قال بالوجوب الكفائي وهى بهذا تلتقي مع قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾[١٦٦].

ومن جعلها بيانية قال بالوجوب العيني وهى بهذا تلتقى مع قوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

(١٦٢) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، الشيخ علي محفوظ، ط/٥، دار الاعتصام، القاهرة: ١٩٥٢مص٢٠.

(١٦٣) الموسوعة الفقهية، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط/٣، دولة الكويت، الكويت: ١٤٢٥هـ ./٢٠٠٤م، ٢٠/٣٣٠.

(١٦٤) إحياء علوم الدين، الإمام أبو حامد الغزالي، ط/ دار الكتاب العربي، القاهرة ، بدون ذكر التاريخ ورقم الطبعة، ٢/٣٤٢.

(١٦٥) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤ ،

(١٦٦) سورة التوبة، الآية: ١٢٢.

وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[١٦٧]، [١٦٨].

قال الشيخ محمد أبوزهرة # : (إن على الأمة واجبين أحدهما: ما يقوم به كل واحد بعينه في الدعوة إلى الحق هادياً مرشداً بتعريف غيره إجمالي ما جاء به الإسلام، وما يدعو إليه، وبيان ما يلزم المسلم معرفته. ثانيهما: أن يخصص ناس لهذه الدعوة من الأمة يكون لهم فضل علم بكتاب الله تعالى، وفضل كفاية بيانية وحكمة وإدراك ومعرفة بمنطق الدين وسياسة البيان وسياسة الحق، ووسائل الدعاية، فهؤلاء تربيهم الأمة وتعدهم لنشر الإسلام والدعوة إليه وشرح أصوله ومبادئه وتفاصيل أحكامه. وبهذا يلتقي التكليف العام مع فرض الكفاية، ويتضح أن النصوص تثبت الواجبين معاً)[١٦٩].

وهناك اتفاق بين أهل العلم على وجوب تبليغ الدعوة الإسلامية[١٧٠].

المبحث الثالث: قيام الأمة الإسلامية بالدعوة إلى الله على علم وبصيرة

والأمة الإسلامية لأنها أمة ذات خصائص وميزات فإنها تدعو إلى الله تعالى على علم وبصيرة، وليس مجرد القيام بالتبليغ قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[١٧١].

قال القاسمي # : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ ﴾ أي : هذه السبيل ، التي هي الدعوة إلى الإيمان والتوحيد ، سبيلي ، أي : طريقي ومسلكي وسنتي . والسبيل والطريق يذكَّران ويؤنثان . ثم فسر سبيله بقوله : ﴿ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ﴾ أي : إلى دينه وتوحيده ، ومعرفته بصفات كماله ، ونعوت جلاله : ﴿ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ أي : مع حجة واضحة ، غير عمياء ﴿ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾ أي : آمن بي ، يدعون إلى الله أيضاً على بصيرة ، لا على هوى ﴿ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ ﴾ أي : وأنزهه وأجله وأقدسه عن أن يكون له شريك ، أو ندٌّ أو كفءٌ أو ولد أو صاحبة ، تعالى عن ذلك علواً كبيراً ﴿ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ أي : على دينهم .

---

(١٦٧) سورة آل عمران، الآية: ١١٠ .

(١٦٨) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٩١/٢. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٦٥/٤، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، عبدالرحمن بن قاسم ١٦٥/١٥.

(١٦٩) الدعوة إلى الإسلام،الإمام محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، بدون ذكر التاريخ ورقم الطبعة،ص ٢٢.

(١٧٠) وجوب تبليغ الدعوة،الشيخ عبدالله ناصح علوان، ط/١، دار السلام، بيروت: ١٤٠٥هـ /١٩٨٥م،ص٧-٣٣.

(١٧١) سورة يوسف،الآية: ١٠٨.

ودل قوله تعالى : ﴿ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ على مزية هذا الدين الحنيف ، ونهجه الذي انفرد به ، وهو أنه لم يطلب التسليم به لمجرد أنه جاء بحكايته ، ولكنه ادعى وبرهن وحكى مذاهب المخالفين ، وكرَّ عليها بالحجة ، وخاطب العقل ، واستنهض الفكر ، وعرض نظام الأكوان وما فيها من الإحكام والإتقان ، على أنظار العقول ، وطالبها بالإمعان فيها لتصل بذلك إلى اليقين بصحة ما ادعاه ودعا إليه

ودلت الآية على أن سيرة أتباعه # ، الدعوة إلى الله . قال الرازي : كل من ذكر الحجة ، وأجاب عن الشبهة ؛ فقد دعا بمقدار وسعه إلى الله . وهذا يدل على أن الدعاء إلى الله تعالى إنما يحسن ويجوز مع هذا الشرط ، وأن يكون على بصيرة مما يقول ، وعلى هدى ويقين ، فإن لم يكن كذلك ، فهو محض الغرور.

ولا يخفى أن الدعوة إلى الله إنما هي بنشر مطالب الدين وإذاعة آدابه وتعليمه .

قال بعضهم : ينبغي للعالم أن يكون حديثه مع العامة في حال مخالطته ومجالسته لهم ، في بيان الواجبات والمحرمات ، ونوافل الطاعات ، وذكر الثواب والعقاب ، على الإحسان والإساءة . ويكون كلامه معهم بعبارة قريبة واضحة يعرفونها ويفهمونها ، ويزيد بياناً للأمور التي يعلم أنهم ملابسون لها ، ولا يسكت حتى يسأل عن شيء من العلم ، وهو يعلم أنهم محتاجون إليه ، ومضطرون إليه ، فإن علمه بذلك سؤال منهم بلسان الحال . والعامة قد غلب عليهم التساهل بأمر الدين ، علماً وعملاً ، فلا ينبغي للعلماء أن يساعدوهم على ذلك بالسكوت عن تعليمهم وإرشادهم ، فيعم الهلاك ، ويعظم البلاء . وقلما تختبر عامياً – وأكثر الناس عامة – إلا وجدته جاهلاً بالواجبات والمحرمات ، وبأمور الدين التي لا يجوز ولا يسوغ الجهل بشيء منها . وإن لم يوجد جاهلاً بالكل ، وجد جاهلاً بالبعض . وإن علم شيئاً من ذلك ، وجدت علمه به علماً مسموعاً من ألسنة الناس ، لو أردت أن تقلبه له جهلاً فعلت ذلك بأيسر مؤونة ، لعدم الأصل والصحة فيما يعلمه . وعلى الجملة ، فيتأكد على العلماء أن يجالسوا الناس بالعلم ، ويحدثوهم به ، ويبثوه لهم ، ويكون كلام العالم معهم في بيان الأمر الذي جاؤوا من أجله ، مثل ما إذا جاؤوا لعقد نكاح ، يكون كلامه معهم فيما يتعلق بحقوق النساء من الصداق والنفقة والمعاشرة بالمعروف . أو لعقد بيع ، يكون كلامه في صحيح البيوع وآدابها ، وفوائد التجارة النافعة ، واجتناب الغش والخداع وهكذا . ولا ينبغي للعالم أن يخوض مع الخائضين ، ولا أن يصرف شيئاً من أوقاته في غير إقامة الدين. وبالسكوت عن التذكير والتعليم ، يغلب الفساد ، ويعم الضرر) [(١٧٢)] .

وقال ابن عاشور # : (والبصيرة: فعلية بمعنى فاعلة، وهي الحجة الواضحة، والمعنى: أدعو إلى الله ببصيرة متمكناً منها. ووصف الحجة ببصيرة مجاز عقلي. والبصير: صاحب الحجة لأنه بها صار بصيرا بالحقيقة.

---

(١٧٢) محاسن التأويل، الإمام محمد جمال الدين القاسمي ، تحقيق : أحمد بن علي، حمدي صبيح ، ط/١، دار الحديث ، القاهرة: ١٤٢٤هـ /٢٠٠٣م ، ٥/ ٣٢١ .

وضمير ﴿ أَنَا ﴾ تأكيد للضمير المستتر في ﴿ أَدْعُوٓاْ ﴾. أتي به لتحسين العطف بقوله: ﴿ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾. وهو تحسين واجب في اللغة.

وفي الآية دلالة على أن أصحاب النبي # والمؤمنين الذين آمنوا به مأمورون بأن يدعوا إلى الإيمان بما يستطيعون. وقد قاموا بذلك بوسائل بث القرآن وأركان الإسلام والجهاد في سبيل الله. وقد كانت الدعوة إلى الإسلام في صدر زمان البعثة المحمدية واجباً على الأعيان. ثم لما ظهر الإسلام وبلغت دعوته الأسماع صارت الدعوة إليه واجباً على الكفاية، وعطفت جملة ﴿ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ ﴾ على جملة ﴿ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾، أي أدعو إلى الله وأنزهه. وسبحان: مصدر التسبيح جاء بدلا عن الفعل للمبالغة. والتقدير: وأسبح الله سبحانا، أي أدعو الناس إلى توحيده وطاعته وأنزهه عن النقائص التي يشرك بها المشركون من ادعاء الشركاء، والولد، والصاحبة. وجملة ﴿ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ بمنزلة التذييل لما قبلها لأنها تعم ما تضمنته)[١٧٣].

وقال ابن القيم # : (ولا يكون من أتباع الرسول على الحقيقة إلا من دعا إلى الله على بصيرة قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[١٧٤]. فقوله: ﴿ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾تفسير لسبيله التي هو عليها فسبيله وسبيل أتباعه الدعوة إلى الله فمن لم يدع إلى الله فليس على سبيله...فسبيله وسبيل أتباعه الدعوة إلى الله)[١٧٥].

وقال سماحة الشيخ ابن باز # : (فقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على وجوب الدعوة إلى الله عز وجل، وأنها من الفرائض- وذكر مجموعة من الأدلة على ذلك ثم قال-فبين سبحانه أن أتباع الرسول # هم الدعاة إلى الله، وهم أهل البصائر، والواجب كما هو معلوم هو اتباعه، والسير على منهاجه # كما قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[١٧٦]. وصرح العلماء أن الدعوة إلى الله عز وجل فرض كفاية، بالنسبة إلى الأقطار التي يقوم فيها الدعاة، فإن كل قطر وكل إقليم يحتاج إلى الدعوة وإلى النشاط فيها، فهي فرض كفاية إذا قام بها من يكفي سقط عن الباقين ذلك الواجب، وصارت الدعوة في حق الباقين سنة مؤكدة، وعملاً صالحاً جليلاً.

---

(١٧٣) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ١٢/ ١٢٦ .

(١٧٤) سورة يوسف، الآية: ١٠٨ .

(١٧٥) رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه، ابن قيم الجوزية، تحقيق: عبدالله بن محمد المديفر،ط/١، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض:١٤٢٠صـ ٢١، ٢٣ .

(١٧٦) سورة الأحزاب،الآية: ٢١ .

وإذا لم يقم أهل الإقليم، أو أهل القطر المعين بالدعوة على التمام، صار الإثم عاماً، وصار الواجب على الجميع، وعلى كل إنسان أن يقوم بالدعوة حسب طاقته وإمكانه، أما بالنظر إلى عموم البلاد، فالواجب: أن يوجد طائفة منتصبة تقوم بالدعوة إلى الله جل وعلا في أرجاء المعمورة، تبلغ رسالات الله، وتبين أمر الله عز وجل بالطرق الممكنة، فإن الرسول # قد بعث الدعاة، وأرسل الكتب إلى الناس، وإلى الملوك والرؤساء ودعاهم إلى الله عز وجل.

وفي وقتنا اليوم قد يسر الله عز وجل أمر الدعوة أكثر، بطرق لم تحصل لمن قبلنا، فأمور الدعوة اليوم متيسرة أكثر، من طرق كثيرة، وإقامة الحجة على الناس اليوم ممكنة بطرق متنوعة: عن طريق الإذاعة، وعن طريق التلفزة، وعن طريق الصحافة، ومن طرق شتى، فالواجب على أهل العلم والإيمان، وعلى خلفاء الرسول # أن يقوموا بهذا الواجب، وأن يتكاتفوا فيه، وأن يبلغوا رسالات الله إلى عباد الله ولا يخشوا في الله لومة لائم، ولا يحابوا في ذلك كبيراً ولا صغيراً ولا غنياً ولا فقيراً، بل يبلغون أمر الله إلى عباد الله، كما أنزل الله، وكما شرع الله، وقد يكون ذلك فرض عين إذا كنت في مكان ليس فيه من يؤدي ذلك سواك، كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنه يكون فرض عين، ويكون فرض كفاية، فإذا كنت في مكان ليس فيه من يقوى على هذا الأمر، ويبلغ أمر الله سواك، فالواجب عليك أنت أن تقوم بذلك، فأما إذا وجد من يقوم بالدعوة والتبليغ، والأمر والنهي غيرك، فإنه يكون حينئذ في حقك سنة، وإذا بادرت إليه وحرصت عليه كنت بذلك منافساً في الخيرات، وسابقاً إلى الطاعات)[١٧٧].

ومن خلال ما سبق تكون قد اتضحت الرسالة الدعوية للأمة الإسلامية من خلال قيامها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقيامها بتبليغ الدعوة، وقيامها بالدعوة إلى الله تعالى على علم وبصيرة، ومن خلال قيامها برسالتها ووظيفتها ومهمتها استحقت الخصائص الدنيوية والأخروية التي تميزت بها عن غيرها من الأمم .

(١٧٧) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، جمع وإشراف : محمد بن سعد الشويعر، ط/١، دار القاسم، الرياض: ١٤٢٠هـ ، ١/٣٣٠، ٣٣١ .

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فقد شرفت الأمة الخاتمة بنبيّها محمد # ، وتميّزت بكتابه المعجز الذي هو القرآن الكريم، الذي قال الله عنه: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾[١٧٨]، وقد سعيت جاهدًا في هذا البحث العلمي على إيضاح خصائص الأمة الإسلامية في الدنيا، وخصائصها في الآخرة، وإيضاح رسالتها الدعوية، وأنّها مأمورة بالقيام بالدعوة وبالبلاغ الحسن، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على علم وبصيرة، وأنّ أمة محمد # فاقت جميع الأمم بهذه الخصائص، لما لها من المكونات والفضائل التي تجعلها صالحة لئن تحمل ميراث النبوة إلى قيام الساعة، فإنّ الله سبحانه حينما خلق الخلق يسّر لهم كلّ شيء وكلّفهم بعبادته وطاعته والانقياد لشرعه وفق هدي نبينا محمد # ، وكان مما قضى به ربنا سبحانه وحكم استمرار الدعوة إلى دينه، وتبصير الناس بما يسعدهم ويرشدهم إلى دينهم الذي به حياتهم، ولهذا تكفّل الله سبحانه بحفظ دينه ممثلاً في حفظ القرآن الكريم والذي بحفظه حفظت السنة النبوية ومعالم الدين، وبقي ذلك وسيبقى – إن شاء الله – إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

نسأل الله سبحانه أن يهيأ للأمة الإسلامية معرفة خصائص دينها، وأن تسعى جاهدة للعمل بما يرضي الله عز وجل، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

[١] *أحكام القرآن*، أبو بكر محمد بن عبدالله بن العربي، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، ط/ دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان.

[٢] *إحياء علوم الدين*، الإمام أبو حامد الغزالي، ط/ دار الكتاب العربي، القاهرة، بدون ذكر التاريخ ورقم الطبعة.

[٣] *الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار*، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر النمري القرطبي، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ٢٠٠٠م.

[٤] *أصول الدعوة*، د. عبدالكريم زيدان، ط/٩، مؤسسة الرسالة بيروت: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

[٥] *تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل*، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله الشافعي، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، ط/ دار الفكر، بيروت: ١٩٩٥م.

(١٧٨) سورة فصلت، الآية: ٤٢.

[٦] *التحرير والتنوير*، محمد الطاهر بن عاشور، ط/ دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧م.

[٧] *تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي*، محمد عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري أبو العلا، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت.

[٨] *تفسير البغوي*، البغوي، تحقيق: خالد عبدالرحمن العك، ط/ دار المعرفة، بيروت.

[٩] *تفسير القرآن العظيم*، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، ط/ دار الفكر، بيروت: ١٤٠١هـ.

[١٠] *تفسير القرآن العظيم*، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، ط/ دار الفكر، بيروت: ١٤٠١هـ.

[١١] *تلخيص الحبير في أحاديث الرافعي الكبير*، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، تحقيق: السيد عبدالله هاشم اليماني المدني، ط/ المدينة المنورة: ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

[١٢] *التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد*، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر النمري، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبدالكبير البكري، ط/ وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب: ١٣٨٧هـ.

[١٣] *تيسير الكريم الرحم في تفسير كلام المنان*، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ط/١، دار ابن حزم، بيروت: ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

[١٤] *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، دار الفكر، بيروت: ١٤٠٥هـ.

[١٥] *جامع التحصيل في أحكام المراسيل*، أبو سعيد بن خليل بن كيكلدي أبو سعيد العلائي، تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي، ط/٢، عالم الكتب، بيروت: ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

[١٦] *الجامع الصحيح المختصر*، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، ط/٣، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت: ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

[١٧] *الجامع الصحيح سنن الترمذي*، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت.

[١٨] *الجامع لأحكام القرآن*، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ط/ دار الشعب، القاهرة.

[١٩] *الدعوة إلى الإسلام*، الإمام محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، بدون ذكر التاريخ ورقم الطبعة.

[٢٠] *رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه*، ابن قيم الجوزية، تحقيق: عبدالله بن محمد المديفر، ط/١، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض: ١٤٢٠هـ.

[٢١] *السلسلة الصحيحة*، محمد ناصر الدين الألباني، ط/ مكتبة المعارف، الرياض.

[٢٢] *سنن ابن ماجه*، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر، بيروت.

[٢٣] *سنن أبي داود*، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، ط/ دار الفكر.

[٢٤] *سنن البيهقي الكبرى*، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، ط/ مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

[٢٥] *سنن الدارقطني*، علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي، تحقيق: السيد عبدالله هاشم يماني المدني، ط/ دار المعرفة، بيروت: ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

[٢٦] *سنن الدارمي*، عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي، ط/١، دار الكتاب العربي، بيروت: ١٤٠٧هـ.

[٢٧] *السنن الكبرى*، أحمد بن شعيب أبو عبدالرحمن النسائي، تحقيق: د. عبدالغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١١هـ ١٩٩١م.

[٢٨] *السنن الكبرى*، أحمد بن شعيب أبو عبدالرحمن النسائي، تحقيق: د. عبدالغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١١هـ ١٩٩١م.

[٢٩] *السنن الكبرى*، أحمد بن شعيب أبو عبدالرحمن النسائي، تحقيق: د. عبدالغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١١هـ/١٩٩١م.

[٣٠] *شرح صحيح الإمام مسلم*، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، ط/٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١٣٩٢هـ.

[٣١] *شعب الإيمان*، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٠هـ.

[٣٢] *صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان*، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط/٢، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

[٣٣] *صحيح ابن خزيمة*، محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت: ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

[٣٤] *صحيح الترغيب والترهيب*، محمد ناصر الدين الألباني، ط/ مكتبة المعارف، الرياض.

[٣٥] *صحيح مسلم*، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت.

[٣٦] *صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته*، محمد ناصر الدين الألباني، ط/ المكتب الإسلامي.

[٣٧] *ضعيف الترغيب والترهيب*، محمد ناصر الدين الألباني، ط/ مكتبة المعارف، الرياض.

[٣٨] *عقيدة الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة*، محمد بن عبدالوهاب، ط/٣، المكتب الإسلامي، بيروت: ١٣٩٧هـ.

[٣٩] *عمدة القاري شرح صحيح البخاري*، بدر الدين محمود بن أحمد العيني، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت.

[٤٠] *عون المعبود شرح سنن أبي داود*، محمد شمس الحق العظيم آبادي، ط/٢، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٩٩٥م.

[٤١] *فتح الباري شرح صحيح البخاري*، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، تحقيق: محب الدين الخطيب، ط/ دار المعرفة، بيروت: ١٣٧٩هـ.

[٤٢] *فتح الباري شرح صحيح البخاري*، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، تحقيق: محب الدين الخطيب، ط/ دار المعرفة، بيروت: ١٣٧٩هـ.

[٤٣] *فيض القدير شرح الجامع الصغير*، عبدالرؤوف المناوي، تعليق ماجد الحموي، ط/١، المكتبة التجارية الكبرى- مصر، ١٣٥٦هـ.

[٤٤] *القاموس المحيط*، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت.

[٤٥] *كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل*، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق: د.عبدالعزيز بن إبراهيم الشهوان، ط/٥، مكتبة الرشد، الرياض: ١٩٩٤م.

[٤٦] *كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية*، أحمد عبدالحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، ط/٢، مكتبة ابن تيمية.

[٤٧] *كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال*، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، تحقيق: محمود عمر الدمياطي، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

[٤٨] *لسان العرب*، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، مرفق بالكتاب حواشي اليازجي وجماعة من اللغويين، ط/١، دار صادر، بيروت.

[٤٩] *مجمع الزوائد ومنبع الفوائد*، علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الريان للتراث، القاهرة: ١٤٠٧هـ.

[٥٠] *مجمع الزوائد ومنبع الفوائد*، علي بن أبي بكر الهيثمي، ط/ دار الريان للتراث، القاهرة: ١٤٠٧هـ.

[٥١] *مجموع فتاوى ومقالات متنوعة*، الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، جمع وإشراف : محمد بن سعد الشويعر، ط/١، دار القاسم، الرياض: ١٤٢٠هـ.

[٥٢] *محاسن التأويل*، الإمام محمد جمال الدين القاسمي ، تحقيق : أحمد بن على، حمدي صبيح ، ط/١، دار الحديث ، القاهرة: ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

[٥٣] *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، ط/١، دار الكتب العلمية، لبنان: ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

[٥٤] *المستدرك على الصحيحين*، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

[٥٥] *مسند أبي يعلى*، أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، تحقيق: حسين سليم أسد، ط/١، دار المأمون للتراث، دمشق: ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

[٥٦] *مسند الإمام أحمد بن حنبل*، أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، ط/ مؤسسة قرطبة، مصر.

[٥٧] *مشكاة المصابيح*، محمد بن عبدالله الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط/٣، المكتب الإسلامي، بيروت: ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

[٥٨] *مشكاة المصابيح*، محمد بن عبدالله الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط/٣، المكتب الإسلامي، بيروت: ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

[٥٩] *المصباح المنير في غريب الشرح الكبير*، أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، اعتنى به عادل مرشد.

[٦٠] *المصنف في الأحاديث والآثار*، أبو بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط/١، مكتبة الرشد، الرياض: ١٤٠٩هـ.

[٦١] *المعجم الأوسط*، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد ،عبدالمحسن بن إبراهيم الحسيني، ط/ دار الحرمين، القاهرة: ١٤١٥هـ.

[٦٢] *المعجم الكبير*، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي ابن عبدالمجيد السلفي، ط/٢، مكتبة الزهراء، الموصل: ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.

[٦٣] *المعجم الوسيط*، إبراهيم مصطفى وغيره، دار الدعوة، استنبول.

[٦٤] *معجم مقاييس اللغة*، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، اعتنى به د. محمد عوض مرعب، الآنسة فاطمة محمد أصلان، ط/١، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

[٦٥] *المفردات في غريب القرآن*، الراغب الأصفهاني، ضبطه وراجعه محمد خليل عيتاني، ط/٢، دار المعرفة، بيروت: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

[٦٦] *منازل الأئمة الأربعة*، يحيى السلماسي، تحقيق الكندري، ط/١، دار ابن حزم، بيروت: ١٤٢٠هـ.

[٦٧] *الموسوعة الفقهية*، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط/٣، دولة الكويت، الكويت: ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

[٦٨] *هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة*، الشيخ علي محفوظ، ط/٥، دار الاعتصام، القاهرة: ١٩٥٢م.

Characteristics of the Islamic nation and its Mission Advocacy

Dr. mohammed Bin Ibrahhim Bin Sulaiman Al-Roumi
Particpate Teacher in Colledge of Teatching in Riyadh
King Saud Universty

(Received 26/5/1431H.; accepted for publication 3/7/1431H.)

Abstract. The Muslim nation for her great and noble message and characterized the properties from other former nations which make them unfit to carry out its mission and mission advocacy and perhaps the most prominent characteristics of the Islamic nation the following:-

1. Make the earth as a mosque and cleaning
2. Tayammum for the less of water or inability to use them
3. that Allah has made, such as ranks among the Angel's
4. That Allah mad the door of repentance is open to the day of judgment unless death or hereafter
5. That Allah bless the Islamic nation for carry out early.
6. That Allah has permitted for the Muslim nation the two dead and two blood.
7. That Allah made the Muslim nation center.
8. That Allah pardoned about the Muslim nation mistakes and forgetfulness and a stit.
9. That Allah did not make the nation of Mohammed " peace be upon him" meet on a going astray.
10. That Allah saved from destruction and eradication of mass.
11. That Allah is just gave the Muslim the day of Friday.
12. That Allah has favored greeting of Islam.
13. That Allah made the Muslim nation is less working and more pay.

Second: Characteristics of the Muslim nation in the here after many ½ one of them

1. That Allah summarized Balgurh and ALthadjied
2. That Allah has made the Muslim nation the first to be held accountable of the creatures and the first to enter paradise
3. That Allah has made the Muslim nation over the people of paradise.
4. That Allah has the Muslim nation a witness to the people.
5. That Allah has made the Muslim nation seventy thousand will enter paradise without reckoning or punishment

Thirdly: Missionary Message of the Islamic Nation can be highlighted by:-

1. Islamic nation can be start the promotion of the virtue and prevention of vice.
2. The Islamic nation can be start indoctrinate.
3. The Islamic nation God's call on the knowledge and insight.